الأُسُسُ الإبستيمولوجية لِفقْـــهِ الحَـرْف فِي التَّفْكِيرِ الاصْطِلَاحِيّ العَــرَبِيّ

د. حُسَام الدِّين سَمِير عبد العال محمد

١. مُقَدِّمَةُ البَحْث:

١,١ مَوْضُوعُ البَحْث وإطَاره العَام:

هذه دِرَاسَةٌ باللغة العَرَبِيَّة يَكْشِفُ مَوْضُوعُهَا عن دور المُصْطَلح وإشْكاليّته في أداء المفاهيم التي يُمَارِسُ بها النَّحْوِيّ عَمَلَهُ الوَصْفِيّ التَّقْعِيديّ التَّعليليّ، وما يَنْشَأ عن ذلك مِنْ تَعَدُّدِيَّة مَدْلُولات المُصْطَلَح، وحدوث التباس في عرض المفاهيم وتصنيف المُعطيات وفق انتمائها إلى مُستوًى من مُستويات البِنْيَة اللُّغوية[١]. ومن هذه المصطلحات يأتي مُصْطَلَح "حَرْف" الذي يُسْتَعْمَلُ في التُّرَاث النَّحْوِيّ العَرَبِيّ وفي الدِّراسات اللغوية المُعاصرَة لمعانٍ مختلفة، حيثُ يُثيرُ أَحْيَانا بعضَ الإشْكال الاصطلاحيّ، فقد جَمَعَ تحته أَصْنَاف عديدة مِنَ المفاهيم النَّحوية. فبعض هذه الأصْنَاف شَاعَت لها تَسْمِيَاتٌ مُعَيَّنَة، وبعضها له استعمالات مختلفة؛ ومِنْ ثَمَّ قِيَم نحوية مختلفة. وقد مَثَّلَ « الحَرْف » وحدة تحليل أساسية في مباحث أقسام الكَلِم عند النَّحْويين، واستعماله في علوم العربية المختلفة، فهو على المستوى الخَطِّي « حَرْف »، وعلى المستوى الصَّرْفِيّ « حَرْف »، وعلى المستوى النَّحْوِيّ « حَرْف »، وعلى المستوى المُعْجَمِيّ « حَرْف » أيْضًا، فهو يَجِئُ في التُّرَاث اللُّغَوِيّ مُعَبِّرًا عن مستويات اللغة جميعها. كما مَثَّلَتْ دلالته أحد مشاغل الفكْر البشريّ في مختلف عصوره، وتداخلها إلى لسانية وقاموسية وفلسفية وما ورائية. فهذا الخليل يستخدمُ مشمُولات « الحَرْف » الدَّلالية في المجالات المعرفية المختلفة، فحينما يستعملُ كلمة « حَرْف » فهو يَعْني بها كُلَّ ما تَتَضَمَّنُهُ المُفْرَدَةُ على المستوى الخَطِّي، والصَّوْتِيّ، والبِنْيَوِيّ، والنَّحْوِيّ، والدَّلاليّ. على حين نَجِدُ ابنَ جِنّي قد نَحَا إلى ما يُمْكِنُ أَنْ نُسَمِّيه بالتَّخَصُّصِيَّة في الاستخدام في الحُقول المعرفية المختلفة. ومثل هذا التَّصْنيف يعني أَنَّ نِظَامَ التَّسْمِيَة لهذا المُصْطَلَح له آليَّته الخَاصَّة به، وأنَّ دلالةَ « الحَرْف » تَثْبُتُ حينًا وتَتَنَقَّلُ حينًا آخر، وتختلفُ طُرُقُ التَّوظيف، وتَتَنَوَّعُ درجةُ الدِّقَّة في الغَايَات؛ ممَّا يُثيرُ ويستدعي التَّفْكير في جِنْس « الحَرْف »، والبحث فيه مِنْ زوايا أُخرى: تاريخية، سِيمْيُولُوجية، إبستيمولوجية دَقِيقَة؛ لرصد جوهر العلاقة بين الدَّال والمدلُول. يَعْتَني البَحْثُ بدراسَة المَنْطق الخَاصّ باستعمال "الحَرْف" في ذات العربية وتطبيقاته عند النَّحويين القُدَامى، وفي الدِّرَاسَات اللغوية المُعاصرَة، مع الاستعانة في ذلك بتَمَثُّل مَقَاصده الدَّلالية في اللِّسَانِيَّات الأوروبية الحَديثَة؛ في مُحَاوَلَة لإدراك الانتظام الذي يَحْويه مَجَالُهُ، ومعرفة الحُقُول اللِّسَانِيَّة المُتَعَدِّدَة التي يَتَنَزَّلُ فيها المُصْطَلَح مُسْتَهْدفينَ بذلك العَودة إلى الأَصْل والتَّطَوُّر والبِنْيَة. فَمُصْطَلَح مثل "الحَرْف" – ينتمي إلى الفَضَاء الدِّينَامِيّ (سواء السِّيميولوجيّ منه، أم الدِّينَامِيّ الفَنِّيّ، أم الدِّينَامِيّ الاجتماعيّ) – ومعناه العَام الطَّرَف والجَانب، و"حَرْف مُتَحَرِّك" مَعْنَاهُ العَام انتقَال الطَّرَف أو الجِسْم مِنْ مكانٍ إلى مكانٍ آخَر، ويُقَابِلُهُ "حَرْف ساكن".

و"حَرْف" في اللغة، هو الوَجْه الواحد. وَهذا يَقْتَضِي التَّعَرُّف عَلَى البِنْيَة الفِكْرِيَّة التي بُنِيَ عليها تَصَوُّر مفهوم "الحَرْف"، ومجاري هذه البِنْيَة؛ وذلك للكَشْف عن أَسْرَار التَّسْمِيَات، وفُرُوق الدَّلالات، وظَواهر الاشتراكات والتَّشَابُهَات، ومواطن المُفَارَقَات والاختلافات مع مُصْطَلَحَات أُخرى قريبة في المَجَال، أو بعيدة في المُسْتَوى. فَدِرَاسَةُ الفَضَاءَات اللُّغَوِيَّة التي يَتَنَزَّلُ فيها المُصْطَلَح هو في الحَقِيقَة غَايَة مِنْ غَايَات عُلوم اللِّسَان بجميع فروعها. وأَمَّا دِراسَةُ تَصَرُّفات المُصْطَلَح في الاستخدام بالذَّات، فهي دِرَاسَةٌ نظريَّة المَعْرِفَة العِلْمِيَّة الخاصَّة بهذه المَفَاهيم أي إبستيمولوجيتها.

وَمَوْضُوعُ هذا البَحْث يَأْتَلِفُ مِنْ ستَّة مَطَالب عَريضَة أولها: مَطْلَبُ الحَديث عن مَفْهُوم "المُصْطَلَحِيَّة" في اللغة والاصطلاح، وكيفَ أَنَّ

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الاصْطلاحَ يجعلُ للألفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها الأصليّة، ثُمَّ عَقَّبْتُ بذكْرِ الآليَّات التي يُتَوَصَّلُ بها إلى تسمية الأشياء بعد نقلها عن موضُوعِهَا الأول. وثاني مطالب هذا البَحْث الحديثُ عن إشْكَاليَّات في المُصْطلحيَّة العَرَبيَّة والغَربيَّة، ومنها الإشَارَة إلى العَلاقة بين المُصْطلح والمَرْجع في تأدية المفاهيم المختلفة، وينبغي أنْ تكون هذه العَلاقة أُحَادية التَّسْمِيَة univocité بمعنى أنْ يكونَ لكُلِّ مرجع تسمية واحدة فقط أي مُصطلح واحد، وهي أيْضًا علاقة أُحَادية المرجعية أو أُحادية الدِّلالة monoréférentialité؛ بمعنى أنَّ كُلَّ مُصطلح مُرتبطٌ بمرجع واحد فقط٢. حيثُ ليس في العربية مُعجمٌ تاريخيّ يَدْرُسُ ألفاظَها دراسةً تاريخيَّة، فيُلاحقُ تطورها عبر العصُور مُتَوَقِّفًا عند دلالاتها المُكْتَسَبَة في كُلِّ مرحلة من مراحلها٣. ومنها الدَّعْوَة إلى بنَاء شجرة المفاهيم التي لا يُنْظَرُ فيها إلى المُصْطَلَح النَّحْويّ إلَّا من خلال علاقاته بالمُصطلحات الأُخرى التي تُشَكِّلُ معه مجالًا واحدًا، ولا بُدَّ أنْ يُؤْخَذَ البُعْد التَّاريخيّ في الحُسْبَان، فلا يُنْظَر إلى المُصطلح على أنَّهُ واحدٌ رغم العُصُور، حتى لا تُلْقَى مفاهيم المتأخِّرين على المُتَقَدِّمين٤. وتأسيسًا على ذلك فقد رَصَدنا مُصطلح "الحَرْف" في مَظَانِّه مِنَ النَّشْأَة التَّاريخيّة، ووضْع المُصطلح في مُقَابَلَة مع بقيّة المصطلحات التي اُسْتُعْمِلَ في معانيها مَا قَد يسم مثل هذا البحث بالوَصْفيّ أي مِنْ مَنْظُور سينكرونيّ parler de linguistique synchronique، ثُمَّ الدِّرَاسَة التَّطَوُّرِيَّة للمصطلح ومفاهيمه أي مِنْ مَنْظُور دياكرونيّ٥ linguistique diachronique. أَمَّا المطلبُ الثَّالثُ فهو قائمٌ على تَمَثُّل الحُقُول المعرفيَّة التي يَتَنَزَّلُ فيها مُصْطَلَح "حَرْف". وَسَاقَتني المطلبُ الرَّابع إلى الكلام عن حُدُود "الحَرْف" وتبيان الدَّقيق منها، واستقراء وظيفته في التُّراث النَّحْويّ. وقد جَعَلْتُ المَطْلَبَ الخامس من هذه الدِّرَاسَة لتَتَبُّع استعمالات "الحَرْف" ومُلاحَظَة ازدواج المُصطلح عند النُّحاة، واستخدامه في معاني "الكلمة"، و"أقسام الكلام"، و"الصَّوت"، و"العَلامَة الإعرابية"، و"الضَّمير"، و"أَسماء الأفعَال"، و"الظُّرُوف"، و"الأدوات". وتناولتُ في المطلب السَّادس طرح تصَوُّر جديد لإمكانية مُعَالَجَة سُؤَال الزَّمَن في تَقْسِيم الحُرُوف داخل أَجْزَاء الكلام العَرَبيّ ؟، وكذلك مناقشة مسألة توارُد المعاني الأُصُول على المعاني الثَّانَويَّة للحُرُوف في السِّيَاقَات التَّركيبيَّة، وما يَسْتتبعُهَا من قَضيَّة إمكَانية أو عدم إمكانية فَصْل المعاني والدِّلالات في لَفْظ "الحَرْف" ونُطْقِه. وأخيرًا جاءت الخَاتمة لتُسَجِّلَ أَهَمَّ النتائج التي تَوَصَّلَ إليها البَحْثُ.

١،٢ فَرضيَّاتُ البَحْث:

يَطْرَحُ البَحْثُ مجموعةً مِنَ التَّسَاؤلات لمجموعةٍ مِنَ الإشْكالات لاستكْشَاف التَّمَايُزَات والكُلِّيَّات المُرْتبطَة بمفهوم "الحَرْف" ويتناول منها:

- إذَا كان البَحْثُ اللِّسَانيُّ قد عَدَّ "الحَرْف" أحد العناصر التي مِنَ العَسير التَّخَلِّي عنها أو الاستغناء عن استعماله مقياسًا في التَّحليل اللغويّ، فَإنَّ "الحَرْف" لم يَبْدُ مقْيَاسًا صالحًا في تحليل الكَلام إلى وحداته الصُّغْرَى؛ فَ "الحَرْفُ" يُلابِسُ ظِلالَ مفاهيم أُخْرى كثيرة، فهو يُطْلَقُ إذَنْ على وحدات تستعصي عن التَّحليل المعنويّ في تحليل الكَلام إلى وحداته الدُّنيا، كما هو الشَّأْن في مُعَادَلات: حَرْف ⬅صَوْت، حَرْف ⬅مَقْطَع، حَرْف ⬅زَائدَة (سَوَابَق – لَوَاحق - دَوَاخل)، حَرْف ⬅كَلمَة، حَرْف ⬅لَفْظ، حَرْف ⬅اسْم، حَرْف ⬅فِعْل، حَرْف ⬅ضَمير، حَرْف ⬅اسْم فِعْل، حَرْف ⬅ظَرْف، حَرْف ⬅أَدَاة، حَرْف ⬅خَطّ، حَرْف ⬅رَمْز، حَرْف ⬅وَحَدَات عَرُوضيَّة، سُكُون ⬅حَرَكَة... إلخ؛ لأنَّ الغايةَ هي الظفر بوحدة معنوية لا تقبل التَّجزئة إلى وحدات مَعْنَويَّة أصغر منها في مُحْتَوى التَّسْمِيَة. وعلى ضَوْءِ هذه الاعتبارات ظَهَرَ لنا أَنْ نطرح تساؤلاً عَمَّا قد نَجِدُه حول قَضَايا "الحَرْف" وموضوعاته في التُّراث النحويّ وكيفيّة مُعالجته.
- ومِنْ فرضيَّات البحث المُهِمَّة طَرْح التَّسَاؤُل عن مدى إمكانية أَنْ نَفْصِلَ في نُطْق "الحَرْف" بين معاني أَجْزائِه، وبعبارةٍ أُخْرى أَنْ نَفْصِلَ الجُزء الدَّالّ على المعنى الأول عن الجُزء المُفيد للمعنى الثَّاني.
- كذلك السَّعْي إلى الإجَابَة عن التَّسَاؤُلات المُمْكنَة في شأن أَنَّ "الحَرْف" يُفيدُ التَّشَارُكَ في الأَحْدَاث مع الأَفْعَال التي يُوصلُ معانيها عن طريق مدلولات حُروف "الحَرْف". ويُفيدُ تحديد الزَّمَن على اعتبار مدلول وَزْنه المَقْطعيّ الطارئ على حُرُوف "الحَرْف". وتأسيسًا على ذلك يَفْتَحُ البَحْثُ آفاقا لمَشْرُوعَات عِلْميَّة مُقْتَرَحَة نَحْوَ: هل بِإمْكَانِنَا مُعَالَجَة سُؤَال الزَّمَن في تَقْسِيم الحُرُوف داخل أَجْزَاء الكلام العَرَبيّ ؟

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

٢. المصْطَلَح: التَّعْريف والإشْكاليَّة:

٢,١ "الاصْطِلاح" لُغَةً واصْطِلاحا:

يَذْكُرُ أحمد بن فارس عند تَعَرُّضه لشرح مادة (صَلَحَ) أَنَّ: « الصَّاد والحَاء واللام أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ على خلاف الفَسَاد »٦. ويُضيفُ الأَزْهَرِيُّ قَائلًا: « تَصَالَحَ القَوْمُ واصْطَلَحُوا بمعنًى واحد »٧. وحسب غازي مختار طليمات فإنَّ « الجِذْرَ الثلاثيَّ للفظة "مُصْطَلَح" كان يَعْني في الجاهلية "الصُّلْح" أو "الصَّلاح" المناقض للفساد، ولم يكن يَدُلُّ على شيءٍ من المعنى الذي اكتسبهُ في العصور التَّالية، وأَنَّ الفعْلَ "اصْطَلَحُوا" لم يكن يعني أكثر من ائتلاف القوم بعد الاختلاف، ثُمَّ صقل التطوُّر هذا اللفظ، وأَضَافَ إلى معناهُ معنًى جديدًا »٨، يَذْكُرُهُ الزُّبَيْدِيُّ فيقول: « الاصطلاحُ اتِّفَاقُ طائفةٍ مخصُوصَة على أَمْرٍ مخصُوص »٩. فَ "المُصْطَلَح" "لُغَةً إذَن: هو ما تَوَاضَعَتْ عليه جَمَاعَةٌ من أهل الاختصاص واتَّفَقَت عليه، دالًّا على مفهومٍ مُعَيَّنٍ منَ المفاهيم١٠. و"المُصْطَلَح" اصْطلاحًا كما يبدو في "كُلِّيَّات" الكَفَوِيّ هو: « اتِّفَاق القَوْم على وضع الشَّيْء، وَقيل: إخْرَاج الشَّيْء عَنْ المَعْنى اللُّغَوِيّ إلَى معنًى آخر لبَيَان المُرَاد [...]. وَيُسْتَعْمَلُ الاصْطِلَاحُ غَالبًا في العِلْم الَّذي تحصل معلوماته بالنَّظر وَالاسْتدْلَال. وَأمَّا الصِّنَاعَة: فَإنَّهَا تُسْتَعْمل في العِلْم الَّذي تحصل معلوماته بتتبع كَلَام العَرَب. واللغات كُلُّهَا اصطلاحية عِنْد عَامَّة المُعْتَزلَة وَبَعض الفُقَهَاء »١١. ومِمَّا يُضَافُ إلى ما تَقَدَّم قَوْل الأمير مصطفى الشّهابي أَنَّ « الاصطلاح يجعلُ للألفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها اللغوية الأصلية »١٢. ومِنَ التَّعْريفَات الدَّقيقة للمصطلح ما أَوْرَدَهُ Helmut Felber١٣ منْ أَنَّهُ « رَمْزٌ لُغَوِيٌّ مُحَدَّدٌ لمَفْهُوم واحد ». فالمصطلح على هذا التَّوَجُّه يقومُ على دعامتيْن اثنتيْن هما: الرَّمز اللغويّ، والمفهوم الذي يدلُّ عليه ذلك الرَّمْز١٤. ومَا يَلبث التَّهَانَوِيُّ أَنْ يُتَابعَ تَعْريفَه فَيَلْفتُ إلى أَنَّ الاصطلاحَ هو « العُرْف الخَاصّ، وهو عبارةٌ عن اتِّفَاق قَوْم على تسمية شيءٍ بعد نَقْله عن موضُوعه الأول لمناسبةٍ بينهما كالعموم والخُصُوص، أو لمُشَارَكتهما في أَمْر، أو لمناسبتهما في وَصْف »١٥.

٢,٢ إشْكاليَّةٌ في المصْطَلَح في التَّفْكير العَرَبيّ والغَرْبي:

يَضَعُ ابن خلدون يَدَهُ على قضية المصطلحات التي تُمَثِّلُ إحدى المُعضلات القائمة في واقع الفكر العربيّ. ففي الفصل الرابع والثلاثين منْ "مُقَدِّمته" بعنوان: "في أنَّ كثرة التآليف في العلوم عَائقَةٌ عن التَّحصيل" يُنَبِّهُ إلى أَنَّ اللغةَ ليست إلَّا نظامًا اصطلاحيًّا، وأَنَّ كثرة المصطلحات وعدم أُحاديَتها يُؤدِّي إلى صُعوبة تحصيلها، وربما يقضي المُتَعَلِّمُ عُمُرَهُ كُلَّه في ذلك، ولا يستطيع أَنْ يَفيَ بما هو موجودٌ في علْم واحد، يقول: « [...] اعْلَمْ أنَّه ممَّا أَضَرَّ بالنَّاس في تَحْصيل العلْم، والوقوف عَلى غَايَاته، كثرةُ التَّآليف، واختلافُ الاصطلاحات في التَّعْليم، وتعدُّد طُرُقهَا، ثُمَّ مُطَالبة المُتَعَلِّم، والتّلميذ باستحضار ذلك. وحينئذٍ يَسْلَمُ له منصبُ التَّحْصيل، فيحتاجُ المتعلِّمُ إلى حفْظهَا كلّها، أو أكثرها، ومراعاة طُرُقهَا.

ولا يَفي عمره بما كُتبَ في صنَاعَة واحدَة إذا تَجَرَّدَ لها فيقع القُصُور، ولا بُدَّ دون رتبة التَّحْصيل »١٦. يَذْكُرُ حسن حمزة١٧ في مقالته الموسومة بـ "في الأصُول النَّظَريَّة لتاريخ تطوُّر المصطلح النَّحويّ العربيّ" أَنَّهُ على غُلاف كتاب "مُعجم اللِّسَانيَّات" لـ Georges Mounin (جورج مونان) صُورة شمسيَّة له كُتبَ تحتها: "المُصْطَلَح المثَاليّ يفترضُ اكتمال العلْم". حيثُ تُقَرِّرُ هذه العبارة وفقًا لحسن حمزة مَبْدَأً مُهمًّا منْ مَبَادِىء علْم المُصطلح، وهو أَنَّ المصطلح في تطوُّرٍ دائم ما دام العلْم في تطور، فلا بُدَّ للتطوُّر إذن من أَنْ يُنْتجَ مفاهيم جديدة تحتاجُ إلى مصطلحات جديدة للتعبير عنها. ونَتَجَوَّلُ في هذا السِّيَاق مع ما اسْتَعْرَضَهُ مونان في نَصِّه التَّالي الذي يُلْقي فيه الضَّوْءَ على تعدد المفاهيم المصطلحيَّة، ويُبَيِّنُ أَنَّها تُمَثِّلُ إشكاليةً عالميةً حقيقيَّة تستحقُّ الطَّرْح وتقديم الحُلُول، يقول:

« La question de la multiplicité des concepts terminologiques en linguistique est un véritable problème، ce problème n'est pas nouveau dans son dépôt depuis ١٩٦٠ et la question terminologique est fondamentale pour les travaux et les observations des linguistes١٨. Jules Marouzeau a consacré à cette question dans l'avant-propos de son Lexique de la terminologie linguistique، en ١٩٤١، dans laquelle il s'est adressé à quarantaine d'initiatives، d'articles et de travaux divers، qui témoignent tous de l'existence d'une prise de conscience des problèmes soulevés par les terminologies١٩.

Le "malaise terminologique" décrit par Leiv Flydal au Congrès de linguistique romane à Madrid en ١٩٦٥، est dû à des causes permanentes dont chaque lecteur، et surtout chaque chercheur doivent être conscients. Marouzeau les inventoriait déjà voici plus de trente ans، résumant à ce sujet remarquablement dites avant lui par Antoine Meillet٢٠. La terminologie linguistique، encore aujourd'hui، se construit selon le mot de Marouzeau، « au hasard des découvertes et des inspirations » ٢١ – soit par détournement de sens de mots anciens، soit par des créations néologiques »٢٢.

كما يَتَّفِقُ توفيق قريرة مع مونان في قاعدته المقترحة والتي تَمَّ الاصطلاح عليها بقاعدة "الاقتصاد اللغوي"، وقد حاول في هذه القاعدة أنْ يتخيّر القائمة الاصطلاحية النحوية من حيث قربها أو بعدها من المثال النظري الاصطلاحي: وهو أنْ يكون الاسم الواحد موضوعًا لمتصَوَّرٍ واحد٢٣. ويَنْضَاف إلى ما تقدَّم ضرورة الوعي في تسمية مفاهيم الحدود الاصطلاحيَّة بأنْ تكون هذه الأخيرة واضحة وذلك بمراعاة سهولة اللفظ والإيجاز والشمول، والإحاطة بالمحدود، والوفاء لحقيقة مفهوم المصطلح٢٤.

٣. الحُقُولُ المعْرفية التي يَتَنَزَّلُ فيها مُصْطَلَح "حَرْف":

يُنَبِّهُ رشيد عبد الرحمن العبيديّ في مُقَدِّمَة تحقيق كتاب "الحُروف" للرَّازي أَنَّ التَّصْنيفَ في "الحُرُوف" العربية قد بَدَأَ منذ عهد مُبَكِّر في تاريخ اللغة العربية ودراساتها، وإنْ صَحَّتْ نِسْبَةُ كتاب "الحُرُوف" إلى للخليل بن أحمد الفراهيديّ (١٠٠-١٧٧ه) في هذا الموضوع، فإنَّ في ذلك ما يدلُّ على أَنَّ العِنَايَةَ بهذا الفَنّ من علوم العربية كانَ قد بَدَأَ ببداية التَّفْكير في تَقْعِيد اللغة، ووضع أُصولها وقوانينها٢٥.

وقد ذَكَرَ حاجي خليفة في "كَشْف الظنون" مائتيْن وثلاثة وعشرين كتابًا تَضَمَّنَتْ الكلامَ في خواص الحروف٢٦. يَعْرِضُ الزَّجَّاجِيُّ في "الإيضَاح في علَلِ النَّحْو" لأَهَمِّ المجالات المعرفيَّة التي يُسْتَعْمَلُ فيها مُصْطَلَح "حَرْف" فيجعلها على ثلاثة أَضْرُبٍ: الحَقْل المُعْجَمِيّ؛ ومن ثَمَّ يُقَال: حُرُوف المُعْجَم التي هي أَصْل مدار الألسن، وأَصْل تركيب الأسماء والأفعال والحُرُوف.

والحَقْل الصَّوْتِيّ؛ أي: أَصْوات أو أَحْرُف الأسماء والأفعال. والحَقْل البِنْيَوِيّ أو التَّصْرِيفِيّ؛ فيجعلُ منها الحُرُوف التي هي أبعاض الأسماء والأفعال. والحَقْل النَّحْوِيّ الدِّلاليّ؛ ويجعلُ منها حُرُوف المعاني التي تجيء مع الأسماء والأفعال لمعان٢٧.

ولقد وَجَّهَت فاطمة محجوب النَّظَرَ إلى المَجَالات المعرفيَّة التي يُمْكِنُ أَنْ نستشرفَ فيها ما يَتَّصِلُ بدراسة "الحَرْف" في العربية، حيثُ يجيءُ لفظ "الحَرْف" في مُصَنَّفات التُّرَاث الإسلاميّ واستعماله في علوم العربية المختلفة، وعلوم القُرآن الكريم – من حيثُ هو أحد أقسام الكلمة – فهو على المستوى الخَطِّي « حَرْف »، ولكنْ يُمَيِّزونه باسم حروف الكِتَابَة، وعلى المستوى الصَّوْتِيّ « حَرْف »، ولا يُسَمَّى في علْم اللغة الحديث حَرْفًا بل صَوْتًا٢٨، وعلى المستوى الصَّرْفِيّ « حَرْف »، ويُمَيِّزونه في الجمع باسم حروف المعاني، وعلى المستوى النَّحْوِيّ « حَرْف »، وعلى المستوى المُعْجَمِيّ « حَرْف » أَيْضًا، ولكنْ يُميّزونه بحروف التَّهَجِّي أو حروف المعجم، فهو يَجِئُ في التُّرَاث اللُّغَوِيّ مُعَبِّرًا عن مستويات اللغة جميعها٢٩.

٣,١ المُحْتَوَى الدِّلالي لمَفْهُوم "الحَرْف" في التَّسمية المُعْجَمِيَّة:

دارت المَادَّة المُعْجَمِيَّة (ح. ر. ف) في القَوَامِيس اللُّغَوِيَّة والاصطلاحيَّة في اللغة العربية حول العديد مِنَ الدِّلَالَات، منها٣٠: الطَّرَف، وحَدّ الشَّيء، والجَانب، والوَجْه، واللغة أو اللَّهْجَة، والعُدُول، والحِرْفَة أو الصَّنْعَة، وتقديرُ الشَّيء، والنَّاقَة المَهْزُولَة/النَّاقَة السَّمينة وهو مِنَ الأضداد، والقِرَاءَةُ بكَمالهَا، والقَصيدَةُ بتمامهَا، والقلَّة والدِّقة.

نُلَاحِظُ أَنَّ عَدَدًا مِنَ المعاني الواردة في مَجَال الجِذْر اللغويّ (ح. ر. ف) تُنْتِجُ كلمات مُتَرَادِفَةً ضِمْن البِنْيَة الدِّلاليَّة للحَرْف. وَيُمْكِنُ أَنْ نُمَثِّلَ لهذه العملية بالشَّكْلِ التَّوْضِيحيّ الآتي:

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

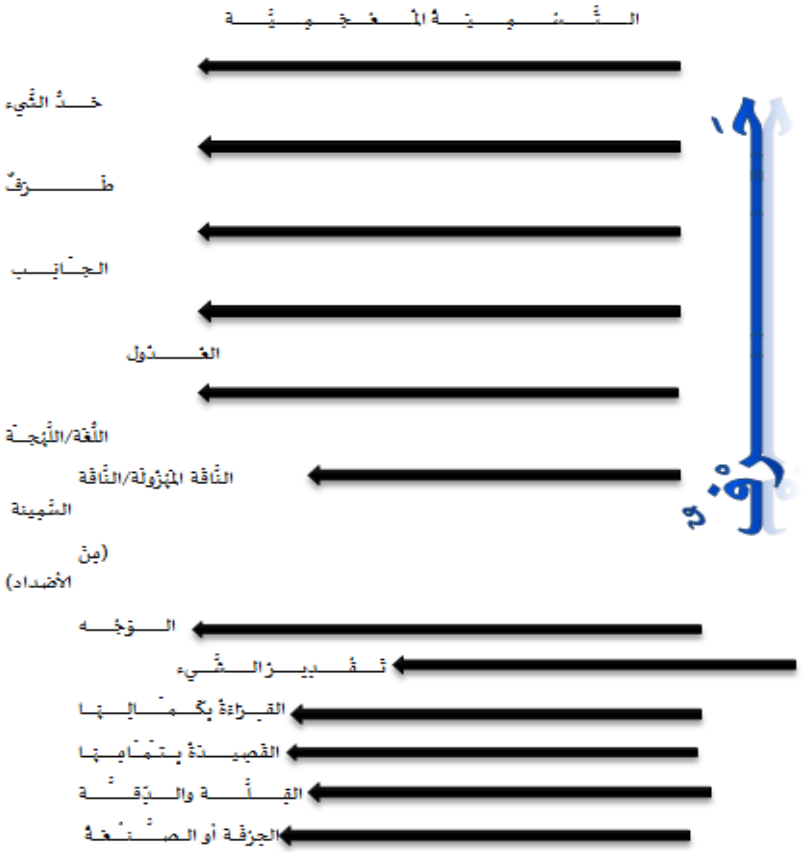

الشَّكل التَّخطيطي (١) المعاني المُعجَميَّة للحَرْف في الفَضَاء الدِّينَاميّ اللغويّ العربيّ

فَالجِذْرُ (ح. ر. ف) أُعطِي – بعد عملية إِدْمَاج أو إِضْهَار لمُكَوِّنَات بِنْيَتِه مِنْ حيثُ مَحْمُولاتها، ومِنْ حيثُ استخدامات هذه المحمولات فَتَنْشأ مواد أُخرى لموضُوعات تَقْتَضِيَها هذه البِنْيَة، وهو ما نُسَمِّيه بالاستعمالات المُعْجَميَّة – الصُّورةَ اللِّسَانيَّة "حَرْف"، التي أَنْتَجَت الأسماء والأفعال الحَامِلَة لوَجْه من أوجهه، أو المُضَمَّنَة لدلالة مِنْ دِلَالَاته، أو المُعَادلَة لمعنًى مِنْ معانيه، مثل الكلمات الدَّالَّة على حَدِّ الشَّيء، والعُدول، والانحراف، واللغة، وتقدير الشَّيء،... إلخ. والتي تُجَسِّدُهَا المُعَادَلَة الواردَة في الخُطَاطَة التَّاليَة: ["حَرْف" (أَدَاة) > الحَدّ ← الجَانب ← الطَّرَف ← العُدُول ←اللُّغَة ←... إلخ]. ويَظْهَرُ من عملية المَعْجَمَة أَنَّ المادَّة الأَسَاس (ح. ر. ف) قد اتَّخذت دور الأداة المُوَجِّهة للمعنى في البِنَى المُعْجَميَّة الحَامِلَة لمعناها، وأَنَّ إِنْتَاجَ معنى "الحَرْف" في تَسْمِيَات المُرَادفات الأُخرى قد تَمَّ بواسطة عملية إِضْهَار لمَحْمُول الجعْل المُجَرَّد الذي تَدُلُّ عليه المادة المُعجميَّة[٣١]. ويَعْني هذا أَنَّ الوحدة المعجميَّة "حَرْف" دَالَّة تملك صِفْرًا أو أكثر من مواقع المُرَادفات المفتوحَة التي تحلّ فيها قراءات المُكَوِّنَات. ويتحَقَّقُ ذلك عن طريق قاعدة تستعملُ المعلومة المُعْجَميَّة لدمج قراءات الجِذْر اللغويّ في المُكَوِّنَات التَّصَوُّريّة التي تُشَكِّلُ موضُوعاته الضِّمْنِيَّة[٣٢].

٣,٢ مُصْطَلَح "حَرْف" في الفَضَاء الدِّينَاميّ:

نَتَقَصَّى في هذا المطلب مِنَ البَحْث طَرْحًا جَديدًا وجدنا خُيوطَهُ الأُولى عند Abderrazzak Bannour[٣٣] في دراسته التي اهتمَّ فيها

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

باقتراح ثلاثة حقول أَسَاسيَّة يَرْجِعُ إليها المُصْطَلَح النَّحويّ العَربيّ بعامة: الأول – وهو المُغَلَّب – هو "الفَضَاء الدِّينَاميكيّ"l'espace dynamique الذي تتنزَّلُ فيه المصطلحات العربية، مثل (النَّفْي) ومعناه الإبْعَاد؛ والحقل الثَّاني هو "التَّقْويم الاجتماعيّ" valorisation sociale وتُمَثِّلُهُ مصطلحات مثل: (التَّصْغير)، و(التَّفْضيل)، و(التَّعْريف)، و(التَّنْكير)؛ والحَقْل الثَّالث هو "أَعضاء الجِسْم" parties du corps، وتنتمي إليه مُصطلحات مثل: (المصدر) مِنَ الصَّدْر، و(الوَجْه) من وُجُوه القَوْل أو الاستعمال٣٤. وقد رأيْنَا تَلَمُّسَ هذه الظَّاهرة وتطبيقها على مُصْطَلَح "حَرْف"، ورصْد ما فيه من محتوى "الفَضَاء الدِّينَاميكيّ"؛ لإيضَاح العلاقة بين تسمية الحَرْف ومفهومه اللغويّ، فكثيرًا ما تكونُ العلاقة بينهما علاقة تقارُب وتداخُل، وهذا مِنْ جُمْلَة الظَّوَاهر التي تتجَلَّى في "الحَرْف"؛ إذ لا يُمْكِنُ فَصْل المعنى عن لَفْظه. يتم عادةً صيَاغَةُ المصطلحات عن طريق المَبْدأ الأساسي المُتَمَثِّل في الاقتراض مِنَ اللغة الأُمّ إلى اللغة العَامَّة، أو إلى المجَالَات التَّخَصُّصيَّة الأُخرى، عن طريق تَحَمُّل هذه المصطلحات شروط تعديلات النَّقْل وفقًا لاحتياجات المفاهيم داخل طرائق الاستخدام. فَكُلُّ مُصْطَلَح في حَقْل تَخَصُّصيٍّ مُعَيَّن يُعَادُ توظيفُهُ من حيثُ كونه في أَصْله مُفْرَدَة عادية الدلالة إلى مُفْرَدَة ذات خُصُوصيَّة في الدِّلالة، حتى تَصير في المجال الذي نُقِلَتْ إليه – مِنْ حيثُ التَّعْيين والتَّحديد – بمنزلة الاسم العَلَم في اللغة العادية٣٥. إنَّ النَّاظرَ في المُصطلحَات المُسْتَخْدَمَة في كتَاب سيبويه يلمحُ أَنَّ منها ما يُمْكِنُ أَنْ يَنْتَمي إلى حَقْل التَّقْويم الاجتماعيّ الذي يشمل مُصْطلحات مثل: (صَحيح)، و(خَطأ)، و (حَسَن)، و(قَبيح)، و(مُسْتَقيم). وَمِنَ المعاني المذْكورَة التي تَصْلُحُ أَنْ تَتَعَاوَرَ في سيَاق الحَقْل المعرفيّ الخاصّ ب "أَعضاء الجِسْم" ما وجدناه مُسْتَخْدَما عند النَّحْويين في نُصُوصهم التَّالية: – « [...] وَنَظير الأول المُضَارع الوَاقع بعد (لَوْ) إذ المعهود للحروف قَلْب المَعَاني لا قَلْب الألفاظ »٣٦. وممَّا يَتَّصلُ بهذه الفِئَة مَا تَمَّ مُلَاحَظَتُهُ مِنْ عدَد كبير مِنَ المَقُولات النَّحْويَّة التي تَكْتَنِفُ مُصْطَلَح "الحَرْف"، والتي تَتَحَقَّقُ مَفَاهيمُهَا في مجال "الفَضَاء الدِّينَاميكيّ". ولَعَلَّهُ ممَّا يَتَوَضَّح في سيَاق المُصْطَلَحَات الفَلَكيَّة التي أَشَارَ إليهاAbderrazzak Bannour٣٧ ما حَوَته نُصُوصُ النُّحَاة القُدَامَى الآتية: – قال ابن مالك: « [...] فلو كان النفي بما لم يجز التقديم؛ لأنَّ لها صدر الكلام، ولذلك جَرَتْ مَجْرَى حرف الاستفهام في تعليق أفعال القلوب. وقياس "إنْ" النَّافيَة أَنْ تَجْري مَجْرَاهَا في غير التَّعْليق كَمَا جَرَتْ فيه مَجْرَاهَا، كقوله: ﴿وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُم إِلَّا قَلِيلا﴾ [الإسراء/٥٢] »٣٨. يتميز الجَانبُ السَّائدُ مِنَ المصطلحات النَّحْويَّة العربية بالقُوَّة الدِّينَاميكيَّة ذات التَّوَجُّهات الفَضَائيَّة الدِّلالة، بَيْدَ أَنَّ بَعْضًا مِنْ هذه المصطلحات يُذْكَرُ في الفَضَاء النَّحْويّ دون أَيَّة حَرَكَة. هذه الدِّينَاميَّة التي تَرْتَبِطُ بالمُصْطَلَحيَّة النحويَّة العربيَّة، هي نتيجة طبيعية ولازمَة في تَنَاصيَّة الظَّوَاهر التي لا يُمْكِنُ تجاهلها في الفكر العربي. وهكذا يتم تقديم علْم القَوَاعد العربية على أَنَّهُ نَحْوًا أي: بمعنى (الاتِّجَاه) أو (القَصْد)٣٩. وهكذا يأتي مُصْطَلَح "الحَرْف" الذي يَعْني (الانحرَاف) أو (العُدُول) وتغيير الاتِّجَاه، كما ينتمي هذا المصطلح إلى الفَضَاء الدِّينَاميّ (سواء السِّيميولوجيّ منه، أم الدِّينَاميّ الفَنِّيّ، أم الدِّينَاميّ الاجتماعيّ)، ومعناه العَام الطَّرَف والجَانب، و"حَرْف مُتَحَرِّك" مَعْنَاهُ العَام انتقَال الطَّرَف أو الجِسْم مِنْ مكان إلى مكان آخَر، ويُقَابِلُهُ "حَرْف ساكِن". و"حَرْف" في اللُّغَة، هو الوَجْه الواحد٤٠. وفي هذا السِّيَاق يَجيءُ مُصْطَلَحُ "الحُرُوف المُتَحَرِّكة"، و"الحُرُوف الشَّمْسيَّة"، و"الحُرُوف القَمَريَّة" ممَّا اسْتَجْمَعَتْهُ الدِّرَاسَةُ لتُفيدَ هذه الدِّينَاميكيَّة في الاستعمال النَّحْويّ التي تُصَوِّرُ هيئَةَ الفُونيمَات في تَحَرُّكهَا٤١. على حين يَبْدو "السُّكُون" أو "الحُرُوف السَّاكنَة" على العكس مِنْ هذه الصُّورَة، فالمُصْطَلَح يَعْني على مستوى البِنْيَة التَّركيبيَّة للمادة أو الوحدة اللغوية غياب الحَرَكَة٤٢. لكنْ إلى جانب هذا الفَهْم – مِنَ القَوْل بأَنَّ "السُّكُون" يخلو مِنْ أَيِّ أَثَر في الكلمة – لا يزال الأَمْر يَكتنفه العُمُوم الذي يحتاجُ إلى إعَادَة نَظَر وتَخْصيص، حيثُ تَبْقَى "السُّكُون" مُؤَثِّرَة وَفي حَالَة نَشَاط في الجَدْوَل التَّصْريفيّ للكلمة كما في المثَال التَّالي: (تَرْمِيْ) ← (لَمْ تَرْم). حيثُ نَجِدُ الفعْلَ في حالة الجَزْم يَفْقِدُ (اليَاء) بواسطة حَذْف السُّكُون٤٣. وقد أَدْرَكَ النُّحَاةُ هذا الدَّوْرَ المُؤَثِّر للسُّكُون الذي يَمْنَع الثِّقَل في النُّطْق الصَّوْتيّ للكلمات في العربية، حينما عَرَّجُوا بالقَوْل: « [...] لكن كثيرٌ مِنَ النُّحَاة يقول: إنَّ هذا السُّكُون عَرَضِيّ طارئ؛ جَاءَ ليمنع الثِّقَل النَّاشئ مِنْ تَوَالي أربع حروف متحركة في كلمتين، هُمَا أشبه بكلمة واحدة »٤٤. يُجِيبُ عبد الرحمن الحاج صالح عن نظرة علماء العربية إلى توالي الحُروف، وقد لاحَظَ أَنَّها تحكمها فكرة التهيؤ للنُّطق بالحَرْف التالي في الوقت الذي ينطق بما قبله، وهذا إنما يحدث أثناء النطق بالحركة؛ أي في بداية الخُروج من مخرج الحَرْف والانتقال إلى مَخْرَج آخَر، أمّا التَّصَوُّر اليوناني القائم على ثُنَائيّة المصطلحات٤٥ consonant and vowel أي الصَّامت والصَّائت فهو تَصَوّرٌ يجعل مِنَ الكلام مجرد تعاقب للعناصر الصوتية تقترن بعضها ببعض دون أن يكون هناك إدراجٌ للحركات المحدثة لها٤٦. أَمَّا مُصْطَلَح "الحرف" في تَصَوُّرِه المفهوميّ الأول فَيَشُوبُهُ التباسٌ حسب

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المهيري٤٧ عندما يُوصَفُ بأنَّهُ ساكِنٌ؛ لأنَّ مُصْطَلَح "حرف ساكن" يُطْلَقُ في التُّرَاث على الحَرْف الذي ليسَ متبوعا بإحدى الحَرَكَات الثلاثة، كما يُطْلَقُ كذلك على حروف المَدّ الثلاثة: الألف، والواو، والياء٤٨. غير أنَّ للمهيري إلماحاتٌ مُشْرِقَةٌ في هذا السِّيَاق، حينما يُبَيِّنُ أَنَّ وَسْمَ هذه الحُروف بالسَّاكِنَة يبدو أَمْرًا غريبًا؛ لأنَّها في طبيعتها عبارةٌ عن حركات طويلة فكيف تكون الحركة ساكنة ؟ وحديثُهُ أَنَّ اعتبار حروف المَدّ ساكنة إنَّمَا يرجِعُ إلى اعتبارها حُروفا في جميع استعمالاتها سواء أَكَانت حقيقيَّة (بالنِّسْبَة إلى الواو والياء فقط)، أَمْ كانت حروف مَدّ مِنْ صِنْف الحَرَكَات حيثُ لا تختلفُ عن الفتحة والضَّمَّة والكَسْرَة إلاَّ بطُولها؛ فانعدامُ الحركة بعد حرف المَدّ قد أَفْضَى إلى اعتباره ساكنًا مما يؤول إلى جَمْع مفهومَيْن اثنيْن تحت هذه الصِّفَة، فواو المَدّ في (يَقُولُ) مثلاً ساكنة، وحرف الواو في (قول) ساكنٌ أيْضًا، وهذا مَا جعلهم يَصِفُونَ أحيانا سكون الواو في المثال الثاني بأَنَّه "مَيِّت"٤٩. ومُصْطَلَح "الحَرْف" في الحَالَة الدِّلاليَّة يُقَدِّمُ فِكْرَةً في الفَضَاء الدِّينَامِيّ كَ (حَافَّة). كما يَتَضَمَّنُ مَفْهُومًا آخر وهو (طَرَف الجَبَل)، أي: الحَدّ الأقصى لمفهوم (الحَافَّة). وهذا الفَرْقُ واضحٌ في ضَوْءِ ديناميكية اجتماعية سيميائيَّة تُشير إلى معاني مُصْطَلَح "حَرْف" في الثَّقَافَة العربية، وفي الوقت نفسه في تناوُل النُّحويين لمسائله وقضاياه اللغوية. لكنْ هذا لا يعني أنه قد تَمَّ تحديده بالضَّرورة على أنَّه "حَرْف" بسبب مَوْقعه في نهاية السِّلْسلَة الكلاميَّة (اسم، وفعْل، وحَرْف). فالحَرْفُ في البِنيَّة العربية هو الحَدُّ « إذَا جَعَلَ بَينه وَبَين صَاحبه حَدًّا »٥٠، ومنه أَيْضًا "حُدُود الكلام"، والفَضْلَة، والطَّرَف، والجَانبُ. فَإِنْ قيلَ: فَإِنَّ الحَرْفَ قد يقعُ حَشْوًا، نحو: "مررتُ بزَيْد"، فليست الباءُ عند المُرَاديّ٥١ في هذا بطَرَف، وإِنَّمَا الحَرْفُ في حقيقته طَرَفٌ في المعنى؛ لأَنَّه لا يكونُ عُمْدَةً، وإِنْ كانَ مُتوسِّطًا. أَمَّا قولهم: سُمِّيَ حَرْفا لأَنَّه طَرَفٌ في الكلام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاس مَنْ يَعْبُدُ اللَّه عَلى حَرْف﴾٥٢ فهو رَاجِعٌ إلى هذا المعنى؛ لأنَّ الشَّاك كَأَنَّهُ على طَرَف منَ الاعتقاد، وناحيَة منه، وإلى ذلك تَرْجِعُ معاني الحُرُوف كُلِّهَا، كقولهم للنَّاقَة الضَّامرة الصلبة: "حَرْف"، تشبيهًا لها بحَرْف السَّيْف. وقد قيلَ إِنَّها الضَّخْمَة، تشبيهًا لها بحَرْف الجَبَل٥٣. ويقولون أَيْضًا: "حَرْفٌ أَصْليٌّ" و"حَرْفٌ فَرْعيّ"٥٤ تشبيهًا بأصْل الشَّيء وفَرْعه، و"الحَرْف" هو (الرَّابطَة)؛ لأنَّه يربطُ الاسمَ بالاسم والفعْلَ بالفعْل. و"الحُرُوف" (أَطْرَاف القَوْل)، أي جُزْء من أقسام الكلام، ويَتَشَابَه هذا المعنى مع استخدام المجتمع العربيّ للتَّركيب (أَطْرَاف الإنسان) أي: يديه ورِجْلَيْه، فهما يُمَثِّلان أجزاء خارجية مِنْ جَسَده. فَ (الألِفُ) طَرَفٌ في البِنَاء الألفبائي للمُعْجَم العربيّ، و(الباء) طَرَفٌ، و(التَّاء) طَرَفٌ،... وهكذا بقية الحُرُوف. وبذلك نكونُ قد قَدَّمْنَا لَمْحَةً عن الأَدْوَار الحَيَويَّة والدِّينَاميَّة لمُصْطَلَح "حَرْف" في المجتمع العربي، وهذا لا يمنع كُلًّا مِنَ الدِّينَاميَّة السِّيميائيّة والتِّقَنيَّة مِنَ التَّلاقي، كما هو الحَال في موقف النُّحويين العرب إزاء مفهوم المُصْطَلَح واستعمالاته المختلفة.

٣,٣ منَ الدِّينَامِيَّة التَّاريخيَّة إلى مَفْهُوم "الحَرْف":

إنَّ الدِّينَامِيَّة المُتَعَلِّقَة بالحَرْف في المجتمع العربي فيما رَأَيْنَاهُ في الفِقْرَة السَّابِقَة تعمل بطريقة ثُنائية دون تحديد مُؤَقَّتِيَّة الحَرَكَة المُلازِمَة لعمليات التَّحْليل داخل السِّيَاقَات اللغويَّة التَّاريخيّة. ومِنْ ثَمَّ نُلامسُ مفهوم ال التَّطَوُّرِيَّة diachronique للمُصْطَلح. لكنْ قبل الخَوْض في استعراض مواقف النُّحَاة وتحليلاتهم لمفاهيم "الحَرْف" نودُّ أَنْ نُلْقِيَ ضوْءًا كاشِفًا على التَّطَوُّر التَّاريخي لمصطلح "حَرْف" والأَنْظَار النَّحْويَّة المختلفة التي تَلَقَّفَته، وفَسَّرَتْهُ.

والذي يدفعنا إلى هذا النِّقَاش هو تعريف سيبويه للحَرْف بأَنَّهُ ما « جَاءَ لمعنًى ليسَ باسم ولا فعْل »٥٥. ويُلَاحَظُ هنا أَنَّ تعريفَ سيبويه للحَرْف يختلفُ عن غيره مِنَ النُّحَاة، الذين يقولون في تعريف "الحَرْف": « مَا دَلَّ على معنًى في غَيْره »٥٦. غير أَنَّنا نُفَضِّلُ استخدامَ تَرْجمة مُصطلَح Michael Carter٥٧ التي هي "جُزْء" فالحَرْفُ إِذَن هو "جُزْءٌ" أو جُزْءُ كلام يَحْمِلُ معنًى. يَسْتَشْهِدُ Carter بِعَدَد مِنَ المفاهيم المختلفة التي يَدُلُّ عليها مُصْطَلَح "حَرْف". فهو عنده: graphème (خَطّ)، أو phonème (صَوْت)، أو consonne (حَرْف صَامت)، أو radical (جِذْر/حَرْف مُبْنَى)، أو morphème (صيغَة صَرفيَّة).

وفي العَصْر الحَديث تَنَبَّهَ Fischer٥٨ إلى أَنَّ هذا المصطلح قد خضع لعدَّة تغييرات وفقًا للسِّيَاقَات التي تَمَّ استخدامه فيها. ففي الشِّعْر القَديم على سبيل المثال كان مفهومَ "الحَرْف" يُسْتَعْمَلُ لتَسْمِيَته المُعْجَمِيَّة "الطَّرَف" فقط، بينما في مجال التَّفسير القُرآني كان يعني في الأصل "كِتَابة الحُروف أو الحَرَكَات". ولكنْ في الحَقْل النَّحْويّ كان المُصطلَح يُشيرُ إلى معنى "الكلمة"، ولم يكن معناه أو مَفْهُومُهُ حتى

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

وقت سيبويه قد تَحَدَّدَ بَعْد، وإنْ كان استخدامه بمعنى (حَرْف صَامِت) consonne قد استمَرَّ. ووفقًا ل Fischer، فَإنَّ المعنى القديم لهذا المصطلح سرعان ما أُهْمِلَ في الحِقَبِ المُتأَخِّرَة٥٩.

٤. حُدُودُ الحَرْف واسْتقْرَاء وَظيفته في التُّرَاث النَّحويّ العربي:

لا نجدُ في الواقع صيغًا جامعة مُعْتَمَدَة للعلامات التي يُمكنُ أنْ يتميَّزَ بها "الحرف"؛ كي يكتفي كُلُّ نحويٍّ بذِكْرها. فقد عُرِّفَ "الحَرْفُ" باعتماد مفهومه الدلاليّ عند سيبويه بأنَّهُ « الكَلِمُ اسْمٌ وفِعْلٌ وحَرْفٌ جَاءَ لمعنى ليس باسْم ولا فِعْل »٦٠. وقد نَصَّ المُبَرِّدُ في كتاب "المُقْتَضَب" أنَّ الكلامَ كُلّه « اسْم وفعل وحَرْف جَاءَ لِمَعْنى لَا يَخْلُو الْكَلَام عَرَبِيًّا كَانَ أَو أَعْجَمِيّا من هَذِهِ الثَّلَاثَة »٦١. حيثُ يأخذُ المُبَرِّدُ في هذا القَوْل مقالة سيبويه في أقسام الكَلام، ثُمَّ يُضيفُ إليها القَوْل بشمول هذه القسْمَة للغات جميعًا. ويُعَلِّلُ الزَّجَّاجيُّ وجودَ الأحْرُف في العربية؛ لأنَّها تُمَثِّلُ الرّباط اللَّازم بين الأسماء والأفعال، يقول: « وَسُمِّيَ القِسْمُ الثَّالِثُ حَرْفا لأَنَّهُ حَدٌّ ما بين هذيْن القِسْمَيْن ورباطٌ لهما، والحَرْفُ حَدُّ الشَّيء، فكأنَّهُ لوَصْله بين هذيْن كالحروف التي تلي ما هو مُتَّصلٌ بها »٦٢. وتَعْليقًا على نَصّ الزَّجَّاجيّ السَّابق يَرَى حسن حمزة٦٣ أنَّ فِكْرَةَ الحَاجَة إلى الحُرُوف لربط الأسماء بالأفعال شبيهةٌ بِفِكْرَة النِّسْبَة التي تربطُ المحمول بالموضُوع. بيد أنَّ أقسام الكلام النَّحويّ لا تُطَابِقُ أقسام القَضيَّة المنطقية، فبينهما خلافٌ جوهريّ كبير، ولا يُمكنُ بحال من الأحوال أنْ يُرَدَّ الحرفُ إلى النِّسْبَة التي تربطُ بين المحمول والموضُوع؛ فهذه النِّسْبَة في الجُمْلَة الفعْليَّة فِعْلٌ (لا حَرْف) يَدُلُّ على ارتباطِ المحمول بالموضُوع في الزَّمَان الماضي أو الحال أو المستقبل، وهي في الجُملة الاسميَّة فِعْلُ الكَوْن (être) الذي قد يَدُلُّ على ارتباط غير مُقَيَّد بزمان. فليس الحرفُ رباط النِّسْبَة إذن، وليس بينهما من ملابَسَة إلاَّ في فكرة الرَّبْط التي يفترض أنَّها وظيفة كلٍّ واحد منهما. وموضع النَّظَر والمُبَاحَثَة في هذا السِّيَاق يَتَمَثَّلُ فيما يُسَمِّيه حسن حمزة٦٤ باستقراء الوظيفة النَّحْويَّة للحَرْف في العربية، وبالعودة إلى هذا الاستقراء نجده لا يُعضد فكرةَ الرّباط التي جاءَ بها الزَّجَّاجيّ، ولا يجعلُ منها أَمْرًا لازمًا لا بُدَّ منه؛ فليس للحرف وجودٌ في نواة الجُمْلَة كما وَصَفَهَا النُّحاة؛ لأنَّ الجُمْلَةَ عندهم نوعان: اسمية وفعْليّة. أَمَّا نواةُ الجُملة الاسمية فَمُكَوَّنَة من اسمَيْن، وأَمَّا نواة الجُملة الفعْليَّة فَمُكَوَّنَة من اسم وفِعْل، وليس للحَرْف مكانٌ في هذه النَّوَاة إلَّا ما ذَكَرُوه من جُملة النِّداء. غير أنَّ الحَرْفَ في هذه الجُملة ليس رابطًا بين الاسم والفِعْل، وإنَّما هو نائبٌ عن الفِعْل، أو هو عنصرٌ قائم على حياله مع الاسم، وليس عنصرًا ثالثًا في الجُملة. أَمَّا خارج النَّواة فلا يكونُ الحَرْف رابطًا بين الأسماء والأفعال إلَّا في مواطنَ قليلة مثل حَالة حُرُوف الجَرِّ التي تُعَلِّقُ الاسمَ المجرورَ بقاعدته الفعْليَّة. أَمَّا حُروف العَطْف فهي تربط بين الأسماء والأسماء أو بين الأفعال والأفعال، لا بين الأسماء والأفعال٦٥. وإذَا نظرنا إلى دلالة الحُروف وجدناها أيْضًا لا تربطُ الأسماءَ بالأفعال رَبْطًا ضروريًّا٦٦ إلَّا حروف الجرّ، أو حروف الإضَافة التي سُمِّيَتْ بحروف الإضَافَة؛ لأنَّ وضعها على أنْ تُفْضي بمعاني الأفعال إلى الأسماء٦٧. وتَفْسيرُ الحَرْف عند كُلٍّ من ابن جِنِّي وأبي البَرَكَات الأنباريّ يعود القولُ فيه إلى دلالَته اللُّغويَّة ومرجعيته اللَّفظيّة في أنَّ مادة الجذْر "ح ر ف" أينما وقعت في الكلام يُراد به حد الشيء وحدته، من ذلك حرف الشيء إنما هو حده وناحيته٦٨. وقيلَ سُمِّيَ الحَرْفُ حَرْفا؛ لأنَّ الحَرْفَ في اللغة هو الطَّرَف. ومنه يُقَال: حَرْف الجَبَل أي: طرفه، فَسُمِّيَ حَرْفًا لأنَّهُ يأتي في طرف الكلام٦٩. ويتناول ابن يعيش تعريف الحَرْف وأنَّهُ قد جاءَ لمعنًى يقول: « لأنَّ الحَرْفَ جَاءَ لمعنًى في الاسم والفعل، فهو كالجُزء منهما، وجزءُ الشيء لا ينعقد مع غيره كلامًا، ولم يُفِد الحرفُ مع الاسم إلَّا في مَوْطن واحد؛ وهو النداءُ خاصّةً، وذلك لنيابَة الحرف فيه عن الفعل، ولذلك ساغت فيه الإمالةُ »٧٠. أَمَّا ابن الحاجب فقد عَرَضَ حَدَّ الحَرْف بقوله: « الحرف: ما دلّ على معنى في غيره ومن ثمّ احتاج في جزئيّته إلى اسم أو فعل »٧١. ويَذْكُرُ الرُّمَّانيّ في "رسالة منازل الحروف" أنَّ « الْحَرْف كلمة تدل على معنى إلَّا مَعَ غَيرهَا ممَّا مَعْنَاهَا في غَيرهَا »٧٢. ومِنَ التَّعْريفات الأُخْرَى تلك التي أَضَافَها الزَّجَّاجيُّ ذَاكِرًا فيها أَنَّ بعضَ النُّحَاة أَشَارُوا إلى أَنَّ "الحَرْفَ" مَا لا يستغني عن جُمْلَة يقومُ بها نحو: "لن يقومَ زَيْدٌ"، و"ما خَرَجَ بَكْرٌ"، و"إنَّ محمدًا في الدَّار"٧٣. واعتبره السَّرَّاج « ما لا يجوز أن يخبر عنه كما يخبر عن الاسم »٧٤. يُبَيِّنُ الزَّجَّاجيُّ في كتَاب "الإيضَاح في عِلَل النَّحْو" تعليقًا على حَدِّ "الحَرْف" كما أَوْردنَاه في التَّعْريفات السَّابقة أَنَّ قولهم: « ما دَلَّ على معنًى في غَيْره » أَمْثَل مِنْ قَوْل مَنْ يَقُول: « مَا جَاءَ لمعنًى في غَيْره »؛ لأنَّ قولهم: « مَا جَاءَ لمعنًى في غَيْره » إشَارة إلى العلَّة، والمُرَاد مِنَ الحَدِّ الدَّلَالَة على الذَّات لا على العلَّة التي وُضِعَ لأَجْلهَا؛ إذْ عِلَّةُ الشيء غَيْرُهُ٧٥. غير أنَّنَا قد وجدنا نَصًّا لأبي حامد الغزالي يَرُدُّ فيه على ما ذَكَرَهُ الزَّجَّاجيُّ مِنْ أَنَّ الحَدَّ قد يكونُ لَفْظًا مُفَسِّرًا لمعنى الشَّيء يقول: « اخْتَلَفَ النَّاسُ في حَدِّ الْحَدِّ، فَمِنْ

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

قَائِل يَقُولُ: حَدُّ الشَّيْءِ هُوَ حَقِيقَتُهُ وَذَاتُهُ، وَمِنْ قَائِل يَقُولُ: حَدُّ الشَّيْءِ هُوَ اللَّفْظُ الْمُفَسِّرُ لِمَعْنَاهُ عَلَى وَجْهٍ يَمْنَعُ وَيَجْمَعُ »٧٦. وعلى كُلِّ حال فإنَّهُ تَجْدُرُ الملاحظةُ بأنَّ مختلف الحُدود المُقْتَرَحَة للحرف تلفتُ الانتباه بصفة خاصَّة لاعتماد محتوى هذه الحُدود على اعتبارات سلبية، فمعناهُ في غيره، وهو لا يُسْنَدُ ولا يُسْنَدُ إليه، كما لا تَحْسُنُ فيه علامات الأسماء ولا الأفعال. وقد جعلَ عبد القادر المهيري سبب ذلك راجعٌ إلى أنَّ الحرف كنوع من أنواع الكلام أشدّ الأقسام استعصاءً عن التَّعْريف؛ لأنَّه ينتمي إلى النحو أكثر مما ينتمي إلى المعجم٧٧. فلو تأمَّلْنا التعريفات السَّابقَة لمفهوم "الحَرْف" استطعنا أنْ نُدركَ أنَّ جانب المعنى يُمَثِّلُ العنصر الأساسيّ فيها "فمعناه في غيره" حسب المهيري يُتَأَوَّلُ بأنَّه يُمْكنُ أنْ يخلو تمامًا من المعنى، أو الإقرار بأنَّهُ مُفيدٌ لمعنى خاص به يختلفُ عَمَّا يُفيدُه كُلٌّ من الاسم والفعْل٧٨. ويجعل الإستراباذي الحَرْف خَاليًا من كل معنى « فالحرفُ وحده لا معنى له أصلاً؛ إذ هو كالعلم المنصوب بجنب شيء ليدلَّ على أنَّ في ذلك الشيء فائدة، فإذا انفردَ عن ذلك الشيء بقي غير دالٍّ على معنًى أصْلاً »٧٩. لكنَّه يُعدُّ الأغلب في معنى الحرف أنْ يكونَ في معنى الأسماء الدَّالَّة على المعاني دون الأعيان٨٠. فمعنى (مِنْ) مثلاً ومعنى الابتداء سواء. غير أنَّ الزَّجَّاجيّ يذهبُ إلى أنَّ للحرف معنًى في ذَاته فإذَا ذَكرته « دَلَّ على المعنى الموضُوع ثُمَّ لم تكمل الفائدة بذِكْرِكَ إيَّاه حتى تقرنه بما تكمل به فائدته »٨١، ولا يختلفُ في ذلك عن الاسم؛ إذ « لا تحصُلُ منه فائدة مُفْرَدًا حتى نقرنه باسم مثله أو فعْل أو جملة. وإلاَّ كانَ ذِكْرُكَ له لغوًا وهذرًا غير مفيد. وكذلك الحرف إذا ذكرته دَلَّ على المعنى الموضوع له، ثم لم تكمل الفائدة بذكرك إياه حتى تقرنه بما تكمل به فائدته، فهو والاسم في هذا سواء لا فرق بينهما »٨٢. ويرى المهيري٨٣ بناءً على هذا التَّفسير الأخير للزجاجي بأنَّ مدلولَ "الحَرْف" يختلفُ في طبيعته عن مدلول كُلٍّ من الاسم والفعْل، فإذا كانَ لهذيْن معنى مُعجميّ ومعنى نحويّ يُسْتَفَادُ من التَّركيب، فإنَّ الحَرْف يَمْتَلكُ معنًى واحدًا هو في الوقت نفسه معناه المُعْجَميّ ومعناه النَّحْويّ. ومن هنا كان أشدَّ استعصاءً عن التَّحديد من القسْمَيْن الآخَرَيْن. غير أنَّ عبد الرحمن أيوب يُخَطِّئُ النُّحَاةَ فيما ذَهَبُوا إليه منْ أنَّ الحُرُوفَ في العربية ليس لها معنى في نفسها على الإطْلاق، فَهُم لا يَرَوْنَ معنًى للحَرْف (إلى) في نَفْسِه في مثْل قولك: "ذَهَبَ الوَلَدُ إلى عَلِيٍّ"، على أنَّ معنى (إلى) يَظْهَرُ من وجهة نظرهم في غيرها أي في الفعْل (ذَهَبَ)، وفي الاسم (عليّ) منَ التَّرْكيب الجُمْليّ السَّابق. على حين يكشفُ عبد الرحمن أيوب أنَّ معنى الحَرْف (إلى) يَتَشَكَّلُ في نفسه، وهو عبارة عن العلاقة التي يُضيفُها الحَرْفُ إلى كُلٍّ من الفعْل والاسم، ولو كانت هذه العلاقة وُجِدَتْ في الفعْل والاسم لَتَمَّ المعنى دونما اللجوء إلى الحَرْف (إلى) ٨٤. وعلى ذلك يُمْكنُ أنْ نتصوَّر معنى الحَرْف بما فيه؛ ويَتمُّ الأمْرُ بأنْ نتأمَّلَ جميع الأَمْكنَة والسِّيَاقات التي يُسْتَعْمَلُ فيها دَالًّا على المعاني المشهورة التي للدِّلَالَة عليها وُضِعَ منذ أول ما وُضِعَ، ورصْد الاستعمالات الأُخرى المنقُولة لمعانٍ أُخرى استعارةً واتِّسَاعًا ومجازًا٨٥، فَتُحْصَى هذه الأمكنة وهذه الاستخدامات ونَعْرِفُ في كُلِّ واحد منها ما وُضِعَ أوَّلًا عليه٨٦. فهكذا تُبْرِزُ السياقاتُ الاستعمالات الأُوَّليَّةَ للحُروف تَصْويتًا أو لفظةً في الدِّلالة على شيء مَا في الخطَاب، فيحفظُ السَّامعُ ذلك بعَيْنه وتُحْتَذَى بذلك المعاني فتقعُ في الكلام إلى أنْ تشيعَ بين المُخَاطَبين؛ ومِنْ ثَمَّ تكون لهذه الأحرف علامات لمحسوسَات يُمْكنُ أنْ تُحْفَظ ويُشَارُ إليها، ويُفْهَمُ من (الباء)، و(في)، و(عن)، و(اللام)، و(من) حينئذ دلالاتٌ ثابتة غالبة عليها لا تُفَارقها في سِيَاقَاتها التَّركيبيَّة المختلفة نحو: الإلصاق، والظَّرْفيَّة، والمجاوزة، والاختصاص، وابتداء الغَايَة، وعدم اعتبارها مُتَوَقِّفَة على غيرها٨٧.

٥. اسْتعْمالاتُ "الحَرْف" وازْدوَاج المُصْطَلَح عند النُّحاة القُدَامَى:

اهْتَمَّ Gérard Troupeau٨٨ بمُتَابَعَة سيبويه في كتَابه وإحْصَاء المُصْطلحات الواردة فيه وذِكْر سياقاتها التَّركيبية، وقد خَرَجَ بنَقْد للمُصْطَلَحيَّة النَّحوية عند سيبويه، حيثُ يَرَاها ناقصةً، كما أنَّها تَتَّسِمُ بتَعَدُّديَّة المفاهيم في صِنْف كبير منها ومُهِمٍّ، ولعلّ مِنْ أبرز هذه المفاهيم يأتي مُصْطَلَح "الحَرْف" الذي يُسْتَعْمَلُ في المعاني الآتية:

- Lettre، élément graphique et phonique، dont les mots sont formés (١٢٤٦ occurrences) ;
- Mot، ensemble de sons formant une unité dont le lexique est composé (٤٥٧ occurrences) ; il est alors synonyme de kalām (١٤١ occurrences) et de kalima (٨٩ occurrences) ;
- Particule، mot-outil qui sert à signifier des rapports entre les mots de l'énoncé (٢٤٧ occurrences).

- حُرُوف الهِجَاء٨٩، أو العَنَاصِر الصَّوتية، أو الحُرُوف الكِتَابيَّة. وقد وَرَدَ ذلك عند سيبويه زهاء (١٢٤٦) ستٍّ وأربعين ومائتيْن وألْف مَرَّة.

- مجموعة الأَصْوات المُكَوِّنَة لوحدة مُعْجَمِيَّة دُنْيَا. وقد وَرَدَ في كِتَاب سيبويه قرابة (٤٥٧) سَبْع وخَمْسين وأربعمائة مَرَّة.
- استخدام "الحَرْف" أيْضًا مُرَادِفًا في معنى "الكلام". وقد وَرَدَ عند سيبويه زهاء (١٤١) إِحْدَى وأربعين ومائة مَرَّة.
- استخدام "الحَرْف" في معنى "الكلمة". وقد وَرَدَ عند سيبويه قرابة (٨٩) تِسْع وثَمَانين مَرَّة.
- استخدام "الحَرْف" كَ (حَرْف معنى) أو كَ (أداة). وقد وَرَدَ في الكِتَاب زهاء (٢٤٧) مائتَيْن وسَبْع وأربعين مَرَّة.

ومَظَاهِرُ هذا القَلَق في المُصْطَلَح الموجودة في كِتَاب سيبويه سَادت أيْضًا في مُصَنَّفَات اللَّاحِقِين له، فرأينا عدمَ استقرار لمفاهيم مُصْطَلَح "الحَرْف"، وما نتجَ عنها مِنْ تسميات وأَصْنَاف وأدوار وظيفية. وكأَنَّهم قد اقتفوا أثرَ سيبويه ومَسْلَكَهُ الذي سَلَكَه في الكِتَاب، وتلقَّى النُّحَاةُ مفاهيمه بالقَبُول. لكنْ ذَهَبَ بعضُ الدَّارِسين المُحْدَثين٩٠ إلى أَنَّ ما نراهُ في كتاب سيبويه من اضطراب مُصْطَلَحِيّ يُعَزِّزُ فكرةَ أَنَّ ما آلَ إليه المُصْطَلَحُ السِّيبَاوَيْهِيّ – إِذَا صَحَّ لنا أَنْ نُطْلِقَ عليه هذه التَّسْمِيَة – دَليلٌ على بدَائِيَّة المفهوم، حيثُ يُمَثِّلُ مرحلةً سابقَةً لمرحلة النُّضْج والتَّمَثُّل. فالتَّعْبِيرُ بتِلْكَ المفاهيم المُتَعَدِّدَة لمُصْطَلَح واحد هو "الحَرْف" إِنَّمَا يَدُلُّ في حقيقة الأَمْر على عدم وُضُوح المُصْطَلَح وُضُوحا تاما في الدِّلالة على المفهوم. غيرَ أَنَّ حسن حمزة٩١ يَلْفِتُ النَّظَرَ إلى أَنَّ ما وُجِدَ مِنْ مُصْطلحات في الكِتَاب لسيبويه هي ليست خالصَةً له، حيثُ لم يكن الكِتَابُ إِذَن، برغم أَنَّهُ أول كِتَاب في النَّحْو العربيّ بين أيدينا، بداية التَّفْكِير النَّحْويّ العربيّ؛ لأَنَّهُ يُمَثِّلُ مرحلةً ناضجَةً في هذا التُّرَاث، ولا يُمْكِنُ – في رأي حمزة – لعلْم مِنَ العلوم أَنْ يَصِلَ إلى درجة التَّجْرِيد التي وَصَلَ إليها الكِتَابُ دونَ أَنْ يكونَ قد مَرَّ بِفَتْرَة مَخاض طويلة. وليس النَّحْو بِدْعا بين غيره مِنَ العُلُوم. ويُقَرِّرُ حمزة أَنَّهُ مِمَّا لا شَكَّ فيه أَنَّ هذه المصطلحات لم تنشأ دفعةً واحدةً، بل مَرَّتْ بفترة مَخاض قبل أَنْ يُسَجِّلها الكِتَاب، يشهد على ذلك ظُهور مُصطلحات كُلِّ العُلُوم، وتطوُّر مصطلحات النَّحو ذاته بعد سيبويه؛ فهذه المصطلحات لم تكتملْ في الكِتَاب، ولم تستقرّ على صُورتها الرَّاهِنَة إِلَّا بعد فترة طويلة٩٢. يَتَّفِقُ عصام نور الدِّين٩٣ مع ما ذَهَبَ إليه حمزة في أَنَّ أكثر المُصْطلحات المَنْسُوبَة إلى سيبويه في الكِتَاب هي من اجتهادات الخليل، بل يُرَجِّحُ نقلًا عن مهدي المخزوميّ أَنْ تَصِلَ العِبَارَاتُ المُصطلحيَّةُ المنسوبةُ للخليل في الكتاب قرابة (٣٨٠) ثمانين وثلاث مائة، وربما يكون للخليل في كتاب سيبويه أكثر مما نَسَبَهُ سيبويه إليه. كما يُلاحظُ عصام نور الدِّين أيْضًا أَنَّ الكِتَابَ يحتوي على آراء مبثوثة ليونس بن حبيب في (١٨٠) ثمانين ومائة موضع. بل إِنَّ باحثًا آخر قد جَمعَ جُمْلَة ما نَقَلَهُ سيبويه عن السَّابقين فكانت (٨٥٧) سبعًا وخمسين وثماني مائة مَرَّة، منها (٥٢٢) اثنتان وعشرون وخمس مائة مَرَّة عن الخليل بن أحمد، و(٢٠٠) مائتا مَرَّة عن يونس بن حبيب، و(٤٧) سبع وأربعون مَرَّة عن أبي الخطاب الأخفش، و(٤٤) أربع وأربعون مَرَّة عن أبي عمرو بن العلاء، و(٢٢) اثنتان وعشْرُون مَرَّة عن عيسى بن عُمَر، و(٩) تِسْع مَرَّات عن أبي زَيْد الأَنْصَاريّ، و(٥) خمس مَرَّات عن هارون بن مُوسى، و(٤) أربع مَرَّات عن عبد الله بن إسحاق، و(٤) أربع مَرَّات عن الكُوفيين٩٤. نستنتجُ من كُلِّ ما سبق أَنَّ سيبويه قد استفادَ من التَّرَاكُم المعرفيّ في المصطلحات النَّحْويَّة التي خَلَّفَهَا السَّابقُون عليه، كما استفاد من ملاحظاتهم ومناهجهم البَحْثِيَّة التي قَرَّرُوها واعتمدوها في تصانيفهم، وأَنَّ المُصْطَلَح النَّحْويّ قد تطوَّرَت مفاهيمه، وأخذَ أبعادًا تَخَصُّصِيَّة حسب جهود السَّابقين واجتهاداتهم بَدْءًا بالإمام عَليّ بن أبي طالب (( )، مُرُورًا بأبي الأسود الدّؤليّ وتلاميذه، نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، وعطاء بن أبي الأسود، وتلاميذ التَّلاميذ: عبد الله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر الثقفي، وأبي عمرو بن العَلاء٩٥.

٦. إشرَابٌ واسْتِحْسَانُ فاتحَة:

بَدَا لي اسْتِحْسَانٌ فَرَضَهُ طَرْحُ فَرضيتَيْن مفادهما اسْتِشْرَافٌ أَجْلَى لِمَسَائِلَ مُعْتَاصَة رُبَّما هَجَسَ بها آخَرُون، لكنِّي حاولتُ أَنْ أَتَفَرَّسَهَا، وأَنْ أَنْظُرَ إليها نَظْرَةً تفكيكيَّة تَقُومُ على استرْفَاد بعض خصائص "الحُرُوف" للإِبَانَة عن مَكَامِن مُرُونتها، ومَوَاضِع تَخَلُّقِهَا. وأَوَّل تَيْن الفَرضيَّتَيْن: هو إدراك المعاني الأَصلية أو الكُلِّيَّة للحَرْف واستكشاف حُلُولِها في المعاني الثَّانوية أو السِّيَاقِيَّة، وهل بِمَقْدُورِنا اقتناص التَّمييز بينهما في لَفْظ الحَرْف ونُطْقه ؟ وهل ثَمَّة ارتباط بين رَمْزِيَّة الحَرْف ودلالته ؟ وثاني تَيْن الفَرضيَّتَيْن: هو توجيه النَّظَر إلى أَنَّ الصِّيغَةَ الحَرْفِيَّة يُمْكِنها أَنْ تتضمَّنَ معنَيَيْن: معنى التَّشَارُك في الحَدَث الذي يقعُ في مَدْلولات الحُرُوف المُرَتَّبة، وتَحْديد الزَّمَان الذي يحصُلُ عن طريق مَدْلُولات الوزن الطَّارئ على الأَحْرُف ؟ فَإِنَّ استشراف هذه المواضع والاقتراب منها يجعلنا نقفُ على كُنْه "الحَرْف" على وَجْه الإِحْكَام، وليس يَخْفَى أَنَّ الانْبِرَاءَ في هذا المقام يستلزمُ مِنَّا إِعْمَالًا عَقْلِيًّا لاستكشاف ملامح البِنْيَة العَمِيقَة في النَّظَر الكَوْنِيّ للحَرْف.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

٦,١ فَصْل المعاني في لَفْظ الحَرْف ونُطْقه:

كَانَ مِنْ فرضيَّات هذه الدِّرَاسَة طَرْح التَّسَاؤُل عن مدى إمكانية أَنْ نَفْصِلَ في نُطْق "الحَرْف" بين معاني أجْزائه، وبعبارة أُخرى أَنْ نَفْصِلَ الجُزء الدَّالّ على المعنى الأول عن الجُزء المُفيد للمعنى الثَّاني. إنَّ هذا الطَّرح جَديدٌ في مَجَال مفاهيم "الحَرْف" وخُلاصَتُهُ أَنَّ ثَمَّةَ إمكانية في تحليل أداءات الحَرْف الدِّلاليَّة تُتيحُ لنا بوجود مَعْنَيَيْن في دِلالة الحَرْف، فهذا الأخير حَامِلٌ لِوَجْهَيْن من وُجُوه معانيه السِّيَاقيَّة المتعدِّدَة:

١- المعنى الطَّارئ الذي هو جُزْءٌ من المعنى الأصْل ليُشَكِّلا معًا معنًى جَديدًا للحَرْف داخل بِنَاء السِّيَاق التَّركيبيّ.

٢- المعنى الأصْل الذي هو قَارٌّ في كُلّ استعمالات الحَرْف، وفي دلالته المُنْفَرِدَة الصَّريحَة. نحو أَنْ تجعلَ لحَرْف (اللَّام) مثلاً في بعض السِّيَاقَات معنًى أَصْليًّا وهو الاختصاص٩٦، وَ تَجْعل لها أيْضًا معَانيَ أُخرى مُصَاحبَة مثل: التَّمْليك، والظرفية كَفي، والمجاوزة كَعَن، ومُوَافَقَة (مِنْ)٩٧،... إلخ. فإذَا طَبَّقْنَا هذا التَّصَوُّر على حَرْف (اللَّام) يَتَبَيَّن لنا أَنَّ أجزاء المعاني فيه مُتَدَاخِلَة فإذا كانت (اللَّام) في سياق للظَّرفية كَ (في)، فالمعنى الأصل٩٨ أو "المعنى الكُلِّيّ" أو "المعنى العَام"٩٩ الذي يَغلبُ عليها هو الاختصاص (وهو أَصْل معانيها) كائنٌ يَتَعَاقَبُ في دلالتها الجَديدة، فَلَئِنْ أَتَتْ للظَّرْفيّة في ظَاهِر التَّركيب النَّحْويّ إلَّا أَنَّها في بِنْيَته العَميقَة هي حَامِلَةٌ لمعنى الاختصاص المُصَاحب لمعنى الظَّرفية في ذات النَّصّ، ولأنَّ (في) لو جِيءَ بها في السِّيَاق فإنَّها لا تُؤدِّي المعنى الدَّقيق للتركيب الذي تُؤدِّيه (اللَّام) التي بمعنى (في)؛ وعلى ذلك فحدودُ الدِّلالتَيْن في السِّيَاق غير واضحة، بل هما مُتَدَاخلتان، فإنْ دلَّتْ (اللَّام) على معنى الاختصاص ومعنى الظَّرفية، فإنَّهُ لا يُمكنُ لنا أَنْ نَفْصِلَ في اللَّفظ أو في النُّطْق الجانب الدَّالّ على المعنى الأول عن الجُزء الذي يُفيدُ المعنى الثَّاني؛ وذلك فيما يبدو لنا أَنَّ الجُزْأَيْن يُسْمَعَان معًا في ذات السِّيَاق. ويُعَرِّجُ مصطفى النَّحَّاس١٠٠ على مضمون هذا المطلب تَمَثُّلًا لتوضيح أكثر للظَّاهرة حينما يتوجَّه بالنَّظَر إلى الحَرْف (لا) إذَا سُبِقَ بحرف آخَر فَإنَّهُ يَتَحَوَّلُ مع التَّرْكيب الجديد إلى معنًى جديد لم يكن لها من قبل. مِنْ ذلك: أَنَّ (لا) قَدْ تُضَمّ إلى الهمزة فَتُصْبِحُ (أَلَا)، وحينئذ تدخُلُ على الجُمْلَة، خبرية كانت أو طلبية، ويكون لها معنيان: معنى مكاني عام، هو: الاستفتاح، ومعنى نحويّ خاصّ، مُسْتَفَادٌ من السِّيَاق بعدها، فتدلُّ على التَّحقيق، أو الأمر، أو النهي، أو الدُّعاء، أو الذَّمّ، أو الإنكار، أو العرض، أو التحضيض، أو التمني، أو التَّقليل، أو النِّداء،... إلخ. وللخليل رأْيٌ في الحَرْف المُرَكَّب حيثُ يكون له حُكْمٌ غير حُكْم الحَرْفَيْن اللَّذَيْن رُكِّبَا منهما، ودليل ذلك ما أَوْرَدَهُ ابنُ جنِّي حينما ذَكَرَ مَذْهب الخليل في الحَرْف (لَنْ) حيثُ يقول: « [...] وَصَارَ لَهما بالامتزَاج والتَّرْكيب الذي وَقَعَ بينهما حُكْمٌ آخَر »١٠١. وقد أَيَّدَ ذلك الرَّأْيَ كثيرٌ من العلماء البصريين والكوفيين، وكذلك أثبتت الدراساتُ اللِّسَانية الحديثة صحَّتَهُ١٠٢. والمعاني بذلك تتفاضَلُ في العُموم والخُصُوص، فتكونُ للمعاني الأوائل ألفاظٌ تَعُمُّ أشياء كثيرة، وتكونُ للمعاني والدِّلَالَات المُتَفَاضلة ألفاظٌ مُتَفَاضلة، وللمعاني المُتباينَة ألفاظٌ مُتباينة. و« كما أَنَّ في المعاني معاني تبقى واحدة بعينها تتبدَّل عليها أعراض تتعاقب عليها، كذلك تُجْعَلُ في الألفاظ حُرُوفٌ رَاتِبَة وحُرُوفٌ كأَنَّها أَعْرَاضٌ متبدّلة على لَفْظ واحد بعينه، كل حرف يتبدّل لعرض يتبدّل. فإذا كان المعنى الواحد يثبتُ وتتبدَّل عليه أعراض متعاقبة، جُعِلَتِ العبارة بلفظ واحد يثبتُ ويتبدَّل عليها حرف حرف، وكل حرف منها دالّ على تغيير تغيير »١٠٣. وَمَثيلٌ لهذا ما أبرزه توفيق العلويّ١٠٤ في ذِكْره لرَبْط الصَّوت أو الحَرْف بالمعنى، وهو ما أَطلَقَ عليه مُسَمَّى "رَمْزِيَّة الحَرْف"، وهذه الرَّمْزِيَّة – في رأيه – لا تقتصر على الرَّمزيَّة المُعْجميَّة فقط، بل تقترنُ كذلك بالرَّمزيَّة النَّحويَّة المُرتبطة بموقع اشتقاقيٍّ يُمَثِّلُ سِمَةً تمييزيَّة في ضَبْط هذه الرَّمزية، فإذا وَسَّعْنَا مفهومَ الرَّمز عَلَى حَدِّ قَوْلِه بما يربطه بالدِّلَالَة الشَّكلية المباشرة، وجدنا في التراث اللغويّ العربيّ أمثلةً كثيرةً متنوِّعةً، نكتفي منها هنا بالإشارة إلى وجود الظَّاهرة في التُّراث النحوي. فحرفُ "اللام" مثلًا من أكثر الحُروف اطرادًا، إذ يُكرَّر في الصَّرَافم الحرفيَّة في جُذُور الكلمات العربية بِنِسَب مُرتفعة حسب دراسة علي حلمي موسى١٠٥. إنَّ النَّاظرَ إلى أَحْرُف (لَا: لَمْ + لَمْ، لَوْلَا: لَوْ + لَا،...) يجد أَنَّ اللامات فيها قد تَوَزَّعَتْ على مواقعَ اشتقاقية ثلاثة، قُسِّمَتْ حسبها "الصَّرافم اللامية" إلى ثلاث مجموعات، مجموعة النَّفي، ومجموعة النَّفي المُقَيَّد، ومجموعة الإيجاب:

- مجموعة النَّفي: تحتوي على كل صرفم، لامه في الموقع الأول: (ل، لَا، لَمْ، لَنْ، لَوْ، لَيْتَ، لَكِنَّ، لَكِنْ، لَعَلَّ).
- مجموعة النَّفي المُقَيَّد: يندرج ضمنها كل صرفم، لامه في الموقع الثاني: (بَلْ، بَلَى، إِلَّا، خَلَا، هَلْ، كَلَّا).

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

- مجموعة الإيجاب: تشملُ الصَّرافم التي يكون فيها اللام في الموقع الثَّالث: (أَجَلْ، بَجَلْ، جَلَلْ، لَعَلَّ).

فاللام يَتَنَقَّلُ في الصّرافم الحَرْفيَّة بين مواقع اشتقاقيّة ثلاثة بصفة تُمَثِّلُ زحلقةً متدرِّجَة تُوازيها زحلقة بنفسِ التَّدرُّج في المعاني الرَّمزيَّة، نفي فنفي مُقَيَّد فإيجاب، والشَّكل التالي المُسَمَّى "خطية اللام" يجمع هذه المعاني الثلاثة:

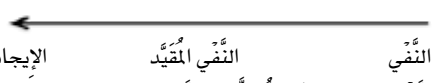

الشَّكل التَّخْطيطي (٤) خَطيةُ اللَّام والتَّرتيب الوَظيفيّ لترتيب الأحْدَاث الموجودَة في المعنى

حيثُ يُعَبِّرُ اتِّجَاه السَّهْم عن خَطِّيَّة اللُّغَة، وتُعَبِّرُ مواقعُه الثلاثة عمَّا يحمله حرف اللام من دلالة رمزية حسب موقعه في كُلٍّ من هذه المواقع. واللافت للنَّظَر في كُلِّ هذا أَنَّ حرف اللام بموقعه يُمْكِنُ أَنْ يُعَدَّ قرينة دالَّة على تغيُّر الدِّلالة الرَّمزيّة، وليس الأمر محض صُدفة. فحروفُ الكلمة تكون مُرَتَّبَةً بترتيب أحداث معناها الحاصل منها، فالتَّرتيبُ وظيفيّ يُناسِبُ ما يقتضيه معنى هذه الكلمة من ترتيب الأحداث المفترض وجودها في هذا المعنى؛ وذلك لأنَّ العَرَبَ في رأي ابن جنِّي « قد يُضيفُونَ إلى اختيَارِ الحَرْف وتشبيه أصواتها بالأحداث المُعَبَّر عنها بها ترتيبها، وتقديم ما يُضَاهِي أوَّل الحَدَث، وتأخير ما يُضَاهِي آخره، وتوسيط ما يُضَاهِي أوسطه، سَوْقًا للحُروف على سَمْتِ المعنى المقصود والغرض المطلوب »١٠٦. ففي هذا تكاتف دلالات الحُروف حسب ترتيب نُطْقيّ خَطِّيّ لتكوين معنى الكلمة. وكلامُنَا هذا يَتَوَافَقُ مع طَرْح عبد القاهر الجُرْجَانيّ في كتاب "دلائل الإعجاز" فهو ممَّنْ لهم سهمة في دَرْس هذا المَطْلَب تحت باب "التَّفَاضُل بين النَّظْم"، فقد عَرَّجَ على أَنَّ « معنى الخَبَر غير معنى جُزْأَيْه المُخْبَر به والمُخْبَر عَنْهُ، فَإِذَا ثبَتَ أَنَّ الجُملةَ إذا بُنيَ عليها، حصَلَ منها ومِنَ الذي بُنِيَ عليها في الكثير معنىً يَجب فيه أَنْ يُنْسَبَ إلى واحدٍ مخصوص، فإنَّ ذلك يقتضي لا محَالَة، أن يكونَ الخَبَرُ في نفسه معنىً هو غيرُ المُخْبَر به والمُخْبَر عنه »١٠٧. وهذا الرَّأْي يَذْهَبُ إليه اللغويون المحدثُونَ مِنْ أَنَّ المعنى الدِّلاليّ يتأثَّرُ بِنَوْعِ البِنْيَة الشَّكْليَّة ويرتبطُ بها داخل تركيبٍ سياقيٍّ مَقْصُود١٠٨.

٦,٢ الحَرْف وفكْرة التَّشَارُك في الحَدَث وتَحْديد الزَّمَن:

هَل يُعَبِّرُ "الحَرْفُ" باعتباره وحدة قابلة لأَنْ تُقْتَطَعَ مِنَ اللَّفْظ بمقتضى دلالته على معنًى نحوي (كما في حالة حُرُوف الإعراب)؛ ومِنْ ثَمَّ تأخذ حُكْمَ اللَّفْظ في وجْه من الوجوه، وأيْضًا تَكتَسِبُ حُكْمَ الكلمة في جانب من الجَوَانب؛ وعلى ذلك يَنْسَحِبُ على الحَرْف ما قد يَنْسَحِبُ على اللَّفْظَة والكلمة في أَنَّهمَا يُفيدَان التَّشَارُكَ في الحَدَث نحو قولك: "قائم" مثلاً فلفْظُهُ هنا يُفيدُ الحَدَث الذي هو القيَام، كما تُفيدُ صيغَتُهُ البِنْيَويَّة أَنَّهُ صاحبُ الفعْل١٠٩. ولو استعرضنا ما أَضَافَهُ الإستراباذاي في هَذا الموضوع من خلال تعبيراته التي تتناقل في مُصَنَّفَات الفكْر النَّحْوِيّ لَخَرَجْنَا بِصُورة جَلِيَّة تَسْعَى إلى الإفادة بأَنَّ الصِّيغَةَ الحَرْفِيَّة التي تُماثِلُ "الكلمة" أو "اللَّفظة" يُمْكِنها أَنْ تتضَمَّنَ معنيَيْن: معنى الحَدَث الذي هو يقعُ في مَدْلولات الحُرُوف المُرَتَّبَة، ومعنى أو دلالة الزَّمَان الذي يحصُلُ عن طريق مَدْلُولَات الوزن الطَّارئ على الأَحْرُف، « فَالوَزْنُ جُزْءُ اللَّفْظ؛ إذْ هو عبارة عن عدد الحُروف مع مجموع الحَرَكَات والسَّكَنَات الموضُوعَة وَضْعًا مُعَيَّنًا »١١٠. فالاعتمادُ في وجهة النَّظَر هذه على ما تُفيده الأحرف مِنْ دلالات ومعانٍ، أي: بما تحمله من أوعيَة معنوية وليست الزَّمَنيَّة مُوجَّهة إلى جانب البِنْيَة اللَّفْظيَّة فقط. وبِمُكْنَة المَرْء أَيْضًا في إطار التَّحْليل البراجماتيكيpragmatique أو المنظور التَّداوليّ أَنْ يَجِدَ تأويلاً لحُدُوث الحَرْف في زَمَن على اعتبار أَنَّ إنجازه لفظيًّا يستوجبُ زَمَانًا مُعَيَّنًا. وتَظْهَرُ هذه الفكْرَةُ أَيْضًا عند الزَّجَّاجيِّ حيْنما ذَهَبَ إلى أَنَّ للحرف معنًى في ذَاته فإذَا ذَكرته « دَلَّ على المعنى الموضُوع ثُمَّ لم تكمل الفائدة بذِكْرِكَ إيَّاه حتى تقرنه بما تكمل به فائدته »١١١، ولا يختلفُ في ذلك عن الاسم؛ إذ « لا تحصُلُ منه فائدة مُفْرَدًا حتى نقرنه باسم مثله أو فعْل أو جُمْلة. وإلاَّ كانَ ذِكْرُكَ له لغوًا وهذرًا غير مفيد. وكذلك الحرف إذا ذكرته دَلَّ على المعنى الموضوع له، ثم لم تكمل الفائدة بذكرك إياه حتى تقرنه بما تكمل به فائدته، فهو والاسم في هذا سواء لا فرق بينهما »١١٢. وهذا ابن يعيش قد أَدْرَكَ هذه السِّمَة التي تقومُ بها الحُرُوف حيثُ يرى أَنَّ هناكَ أَسْماءً في العربية تُفيدُ معنى الأَحْرُف، ومَثَّل لذلك بأسماء الشَّرْط والجَزاء التي تقومُ بوظيفَتَيْن إحداهما: أَنَّهَا تحلُّ مَحَلَّ الأسماء، ومن ثَمَّ فهي تأتي في معناها. وثانيهما: أَنَّهَا تُؤَدِّي دور الحَرْف في إفَادته معنى التَّعَلُّق

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

(أي تعليق وجود الفعْل على وجود غيره). يقول: « والجوابُ عن هذا الإشكال أنَّ هذه الأسماء دَلَّت على معنًى في نفسها بحكم الاسمية، ف "أيْنَ" دَلّت على المكان، و"كَيْفَ" دلّت على الحَال، وكذلك أسماء الجزاء، ف "مَنْ" دلّت على مَنْ يعقل، و"مَا" دلّت على ما لا يعقل. وأمَّا دلالتهما على الاستفهام والجزاء، فعلى تقدير حرفَيْهما، فهما شيئان دَلَّا على شيئَيْن، فالاسم دلّ على مسمّاه، والحرفُ أفاد في غيره معناه. ويؤيد ذلك بناؤها لتضمُّنها معنى الحرف »١١٣. والذي نستنتجه من هذا النَّصّ: أنَّ مِنَ الأسماء مَا يَدُلُّ على معنًى في نفسه، ولا يَدُلُّ على معنًى في غيره، وقِسْمٌ يَدُلُّ على معنيين: معنًى في نفسه، ومعنًى في غيره: كأسماءِ الاستفهام، والشَّرْط. فإنَّ كُلَّ واحد منها يَدُلُّ بسبب تضمّنه معنى الحَرْف على معنًى في غيره، مع دلالته على المعنى الذي وُضِعَ له١١٤. يرى عبد القادر الفاسي الفهري أنَّ النِّظَامَ الزَّمنيّ العربيّ أساسُهُ الماضي، وإذا افترضنا أنَّ الماضي يُفيدُ (قَبْلَ)، وهو ضَرْبٌ من الحُروف؛ ومن ثَمَّ فهناك أَحْرُفٌ أو أدوات تُفيدُ الزَّمانَ في بِنْيَتِهَا الصِّيغيَّة العربية منها على سبيل المثال: (قَبْلَ)، و(بَعْدَ)، و(أَثْنَاء). ومما يَصُبُّ في اتجاه حَرْفيَّة الزَّمن أَنَّهُ "مُتَعَدّ"، بمعنى أَنَّ له موضوعيْن زمنيين يقومُ بربط العلاقة بينهما فهناك زمن الحدث، وزمن الإحالة أو الزمن المُصَرَّح به، وزمن التَّلَفُّظ. ويُسْتَشَفُّ من رُؤيته هذه تحليل معنى (البَاء) في قولنا: "أَمسكتُ بالقلم" أَنَّ معنى (الباء) (الإلصاق) يدخُلُ في إطارِ زمن الإمْسَاك (أي زمن الفعْل)؛ وعلى ذلك فالإلْصَاقُ قد تَمَّ تَصَوّره كأثَر حادث مُتَدَرِّج لِفعْل الإمْسَاك الأَثْنَائي١١٥. وقد نذهَبُ أبعد من ذلك فَنُسْقط الزَّمنَ والجهة١١٦ على الحُروف الحَاملة لهما كما في حالة (في)، و(بعْد) اللَّذَيْن ينتميان إلى نوع الرؤوس الحَرْفيَّة التي ترتبطُ بإسقاط أقصى في التركيب (المُرَكَّب الزَّمني، والمُرَكَّب الجهي)، ويُرتبان موضُوعَيْن دالَّيْن على الزَّمن١١٧. فحسب نموذج ريشنباخ يتوصَّل عبد المجيد جحفة١١٨ إلى أَنَّ الأزمنة الثلاثة يُمْكِنُهَا أَنْ تكون محمولات فَضَائية بمعنى الحُروف، وعلى ذلك فالزَّمن الماضي محمولٌ بمعنى "قَبْلَ"، والزَّمن الحاضر محمولٌ بمعنى "في"، والزَّمن المستقبل محمولٌ بمعنى "بَعْدَ". مِنَ المُقَرَّر المُسْتَحْكم في أدبيات التُّرَاث النَّحْويّ العربي التَّقليديَّة أَنَّ الفعْلَ قد تتغيَّر دلالته الزَّمنية إذا وردَ في سياق النَّفْي تَبَعًا لأداة أو لحَرْف من حُرُوفه، فإذا تأملنا التَّراكيبَ الآتية:

أ)- لم يَتَحَقَّق شيءٌ من ذلك. ب)- لَنْ يُغَيِّر من الأمر شيئًا. ج)- ما تحَقَّقَ شيءٌ من ذلك.

فقد انتقلت دلالةُ الفعْل الزمنية من الحال إلى الماضي بفعْل الحَرْف (لم) في (أ).

وانتقلت الدَّلالة مع حرف النَّفي (لَنْ) من الحال إلى الاستقبال في (ب).

وبالمقابل فلم تتغير دلالة الفعْل الزَّمنية في (ج). وقد قُدِّمَتْ تحليلاتٌ وتصوراتٌ مختلفة في مصنفات النُّحاة يُمْكِنُ إجمالها في اتجاهين حسب العربي بيلوش١١٩: اتجاه أول يرى أَنَّ الفعلَ العربيّ يحملُ الزَّمن، وَ أَنَّ حرف النفي يُغَيِّرُ هذا الزَّمن، فالنُّحَاةُ حينما يَقُولون بتغيير أداة النَّفي (لم)، و(لن)، و(لَمَّا) لزمن الفعْل عند ورودها معه، فإنَّهم يُفَسِّرُون ضِمْنًا أَنَّ حرفَ النَّفي غير فارغ من حيثُ محتواه، ولكنهم لا يُحَدِّدُون هذا المحتوى، كما أنَّهم لا يُفَسِّرُون كيف يتم هذا التحويل في الدلالة الزمنية للفعل. أَمَّا الاتجاه الثَّاني فَيُنْكِرُ أَنْ يكونَ الفعْلُ العربيُّ حاملًا للزَّمن في سياق النفي؛ لأنَّ الزَّمن كُلَّهُ يَتَحَقَّقُ في حرف النَّفْي. ويقترح أصحاب هذا الاتِّجاه البِنْيَةَ الزَّمنية لحروف النفي كما يُمَثِّلها الشَّكْلُ التَّخطيطيُّ التَّالي:

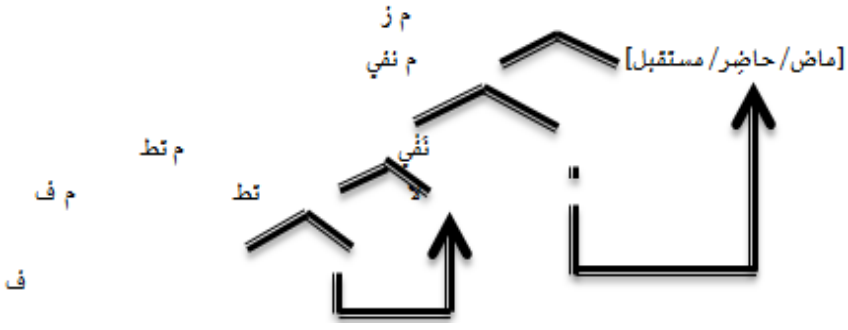

الشَّكْل التَّخْطيطي (٥) تَمْثِيلُ بِنْيَةِ الزَّمَن في أَحْرُف النَّفي في العربية

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

فَمُنْصُرُ النَّفْي يصعدُ إلى الزَّمن ليقع دمجهما في المستوى الصواتي، فينطق المُرَكَّب [نفي + ز] "لا" إذا كان الزَّمنُ حاضرًا، و"لم" إذا كان الزَّمن ماضيًا، في حين يُنْطَق "لن" إذا كان الزمن مستقبلًا، ويبقى الفِعْلُ حاملًا لِصَرفية التَّطابُق. وفي هذه الحالة عندما لا يستطيعُ الفِعْلُ الصعود إلى الزَّمن فإنَّهُ يَرِدُ في صُورة اللَّاتَمَام موسُومًا بصرفيات خاصَّة. ومن وجهة أُخرى لمحمد الرحالي١٢٠ تتوضَّح الأداتان (لن)، و(لم) في إفادتهما الزَّمن، وأَنَّ لكلٍّ حرف دلالته الأصلية التي وُضِعَتْ له، وأنَّ هذه الدّلالة حادثَةٌ مُتَدَرِّجَةٌ مُرْتبطةٌ بالفِعْل، تُسهِمُ في تحقيقه وإنجازه، وأنَّ لكُلِّ حَرْف زمنه الأعلى الذي وُضِعَ له أول ما وُضِعَ. فحرف الجر (في) يتلاءمُ مع الأوضَاع المحدودة التي تنتهي في نُقْطَة زمنية مُحَدَّدَة، في حين تتلاءَمُ الظروف الزمنية التي تدلُّ على فواصل زمنية أو على مُدَّة زمنية لا محدودة مع الأوضَاع اللامحدودة١٢١. والحَرْفُ يعمل كَمُوَجِّه لحركة الفِعْل الزَّمنيَّة داخل التَّركيب الجُمْليّ وهو ما يُسَمَّى بالتَّأْويل الزَّمني الإحالي للحَرْف. وإذا أَضَفْنا إلى ذلك الاستنتاج مَلْحَظًا آخر مضمونه أَنَّ الحُروف في أساسها هي أبعاضُ كلمات – وأَنَّ « الباء بقية كلمة ذات معنًى مُستقل هي "بَيْت" »١٢٢. وباستخدامهم (لا ليت) لِيُعَبِّرُوا به عن التَّمَنِّي، و(فُلانٌ يُسَوِّفُ) للمُمَاطَلَة، إنَّما يعني أَنَّ العرب كانت تستخدمُ الأفعالَ للتعبير عن المعاني، ثُمَّ تطوَّرَ الأمر ببعض الأفعال لِتُصْبِح أدوات١٢٣ – تَبَيَّنَ لنا صِحّة تعبير الحروف عن الزَّمان وتحديدها له، فطبائعُ الحُرُوف ساريةٌ في مباني الأسماء والأفعال، وأَنَّ هذه الحُرُوف – في رأي حسن عباس – هي أقدم المُستحاثات في اللغة العربية؛ تأسيسًا على أَنَّ العربيةَ قد بدأت بالمقاطع الأُحاديَّة فَالثُّنَائيَّة ثُمَّ الثُّلاثيَّة١٢٤. وتُلَخِّصُ المُعَادَلَةُ الآتية كُلَّ ما سبق طرحه في إفادة الحُروف والأدوات معنى الزَّمن: الحَرْف أو الأداة ← يُحْوِيَان زَمان التَّلَفُّظ + زمان الحَدَث المُشْتَرَك بواسطة توجيههما للفِعْل + زَمان الإحالَة (الذي يُفْهَمُ مِنَ السِّيَاق).

٧. حَوْصَلَة وَخُلَاصَة اسْتِنْتاج:

(يَظْهَرُ بِجَلاء في الحَقْل اللِّسَانيّ السِّيبَاوَيْهِيّ أَنَّ المجالَ المفهوميّ للقِسْمَة الثُّلاثيَّة للكلام (الاسم، والفِعْل، والحَرْف) ثَابِتٌ عنده، فهو يتحرَّكُ في تفسيراته تحت وَعْي هذا الثَّبَات، فإنْ لاحَ في أُفُق ثَمَّة تركيب لاستعمال يبدو في نَظَر مُتَلَقِّيه مُتَعَارِضًا مع المفاهيم اللِّسَانيَّة الحَدِيثَة، فهو عند صَاحِبه قَارٌّ في الفَهْم، وعند مُتَلَقِّيه تَطَوُّرٌ للدّلالات المَفَاهيميَّة عَبْرَ عُصُور المُصْطَلَح المختلفة، ومراحِل تلك العُصُور، وعلاقات تلك المفاهيم بالعلوم والمجالات الأُخْرَى. فَلَا يُنْظَر إلى المُصْطَلَح على أَنَّهُ واحدٌ رغم العُصُور وتعدد المَشَارِب والأفْهَام، بحيثُ لا تُلْقَى مفاهيمُ المُتأخِّرين على الأوائل المُتَقَدِّمين، كما أَنَّ هذه المفاهيم الموجودة في الكِتَاب لسيبويه لم تستقر فيه إلَّا بعد فترة طويلة من الزَّمَن. والحَقِيقة المُؤَكَّدَةُ أَنَّ المُصْطَلَحَ في تَطَوُّر دائم وهذا طبيعيٌّ ما دامَ العِلْمُ في اجتهاد وتطوُّر؛ وعلى ذلك فلا بُدَّ للتَّطَوُّر مِنْ أَنْ يُنْتِجَ مفاهيمَ مُعَاصِرَة تحتاجُ إلى أنماط جديدة ومجالات معرفية جديدة، ومن ثَمَّ مُصطلحات جديدة. فالاسمُ في السِّلْسِلَة الكلاميّة عند سيبويه وقُدامى النُّحَاة واضحٌ في التَّعْيين على أَنَّهُ: مَا دَلَّ على معنًى في نفسه دلالة مُجَرَّدَة عن الاقتران بالزَّمَان١٢٥. والفِعْلُ: ما دَلَّ على معنًى في نفسه دلالة مُقْتَرِنَة بِزَمَان مُعَيَّن١٢٦. والحَرْفُ: ما دَلَّ على معنًى في غَيْرِه، ومِنْ ثَمَّ لم ينفك من اسم أو فِعْل يَصْحَبُهُ١٢٧. إنَّ هذا التَّحْديد في التَّعْريفات اللَّفْظيَّة لا تَشُوبه أَيَّةُ تَعَالُقَات، غير أَنَّ البَوْنَ يَظْهَرُ على المستوى الدّلاليّ في أُفُق التَّراكيب المختلفة وسِيَاقَاتها المُتَعَدِّدة الاستعمالات، وهذا ما هَجَسَ به G. Troupeau حينما تَابَعَ في دراسَة إحصائية مُصطلحات سيبويه وسُلُوك تَصَرُّفَاتها داخل التَّراكيب. وأَنَّ النُّحاةَ اللَّاحقين قد اقتفوا أَثَرَه في ذلك. ووفقًا لِمَا رأيناهُ فإنَّ المُسْتَخْلَصَ مِمَّا تَقَدَّم في مفهوم "الحَرْف" تُجَسِّدُهُ المُعَادَلَتَان الرِّيَاضِيَّتَان الآتِيَتَان، وما تَتَضَمَّنه كذلك أَشْكالهما التَّخْطيطيَّة، حيثُ نرمز ل N بالاسم، و ل V بالفِعْل، ول P بالحَرْف، وهذه الثَّلاثَة N، V، P هي وحدات لغويّة في المُعَادَلَتَيْن (q١، q٢)، وأَنَّ R تنقسمُ إلى صِنْفَيْن: (+R)، و(−R)، أي: قَابِلٌ للتَّبْديل في الصِّيغَة والدّلالة، أو غير قَابِلٍ للتَّبْديل فيهما.

وهكذا نحصل على المُعَادَلَتَيْن التَّاليَتَيْن:

$$١ - Eq١ = N \cap P + V \cap P = -R \ / \ N \cap P = \emptyset \ ; \ V \cap P = \emptyset$$

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الشَّكْل التَّخْطيطي (٢) لا يُوجَد تَقَاطُع بين أجزاء الكلام (اسم + فِعْل) مع "الحَرْف"

$$٢ - Eq٢ = N \cap P + V \cap P = R \ / N \cap P \neq \emptyset \ ; V \cap P \neq \emptyset$$

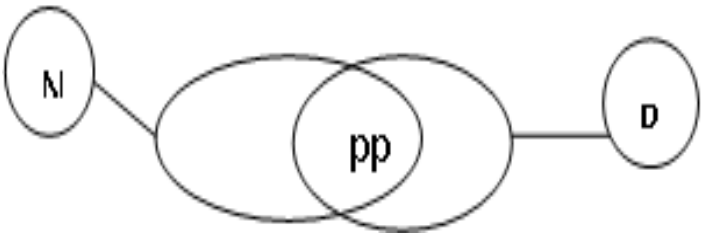

الشَّكْل التَّخْطيطي (٣) يُوجَد تَقَاطُع بين أجزاء الكلام (اسم + فِعْل) مع "الحَرْف"

(مَثَّلَ نَقْدُ ابن خلدون لتَعَدُّديَّة المصطلحات في التُّرَاث العربي لذَات المَفَاهيم نُقْطَةَ الانطلاق التي بَدأنَا منها موضوعَ دِرَاسَتِنَا حول مفهوم "الحَرْف". فَحَديثُ الفِكْرِ النَّحْويّ العربيّ عنه لم يُحدّه حَدًّا جَامعا لمَضَامينه الوظيفيّة والدِّلالية المُتَعَدِّدَة بحيثُ لا تُتْرَكُ فيه مواضع مُرَشَّحَة لتَخَلُّق دلالات مُشْتَرَكَة قد تتداخَلُ مع غيرها من مفاهيم المصطلحات الأُخرى. وأنَّ مُحْتَوى "الحَرْف" ليس ثابتًا في الدلالة كالمحتوى المفهومي لمصطلحات أُخرى أُحاديَّة الدِّلالة. ففي هذه الحَالَة الذِّهْنيَّة يَظْهَرُ بوضُوح أَثَرُ الدِّيناميكية الاجتماعية والتقنية، وهُمَا مُكَوِّنَان يَقْتَضي كُلٌّ منهما التَّغَلُّب على هذه الفَجْوَة، وتحديد المفهوم بدقَّة، لأجْلِ التَّعَرُّف عَلَى البِنْيَة الفِكْريَّة التي بُنِيَ عليها تَصَوُّر مفهوم "الحَرْف"، ومجَارِي هذه البِنْيَة؛ وذلك للكَشْف عن أَسْرَارِ التَّسْميَات، وفُرُوق الدِّلالات. فَدِرَاسَةُ الفَضَاءَات اللُّغَويَّة التي يَتَنَزَّلُ فيها المُصْطَلَح هو في الحَقِيقَة عَامِلٌ مُسَاعِدٌ في تحقيق الانسجام في وجوه المفاهيم التي رُبما يَتَعَذَّرُ إِقَامتها في حالة غِيَابها. وعلى الرَّغم من جُهُوده العظيمة في الكتَاب، لم يَنْجُ سيبويه من النقد عند طَرْحِه لمفاهيم "الحَرْف" في النَّظَرية المعرفيَّة النَّحوية العربية. فلنأخذ على سبيل المثال تعريف ابن السَّرَّاج للحَرْف الذي أَضَافَ فيه سِمَةً جيدة حول مفهوم الإِخْبَار بأَنَّهُ « الذي لا يَجُوزُ أَنْ يُخْبَر عَنْهُ ولا يَكُونُ خَبرًا »١٢٨. وفي السِّيَاق ذَاته فقد لاحَظَ G. Troupeau أنَّ التَّعَدُّديَّة المفاهيميّة لمصطلح "حَرْف" ظَاهِرَةٌ من مثل استعماله في معنى "حُرُوف الهِجَاء"، أو في معنى "الصَّوْت"، أو في معنى "الحُرُوف الكتَابيَّة". أو استخدامه في معنى "الكلام"، أو "الكَلِمَة"، أو "الأَدَاة". وعلى الرغم من جهود سيبويه لتحديد ثلاث فئَات من أَقسام الكلام (اسم، فعل، حَرْف)، فَإِنَّهُ قد خَلَطَ في بعض السِّيَاقَات التَّركيبيَّة بين مفهوم "الحَرْف" وبعض الأسماء والظُّرُوف والضَّمَائر، وكذلك اشتباه دلالة بعض الحروف مع استخدامات بعض الأفعال في العربية. على أَنَّهُ يُمْكِنُ توجيه النَّظَر إلى هذه الفجوة عن طريق المُسَاءَلَة الفِكْريَّة لواقع الدَّائِرَة الدِّلالية الفَاعِلَة في مفهوم "الحَرْف" كَرَابِط بين فِئَات الأسماء والأفعال في البِنَاء الهيكليّ للخِطَاب العربيّ. وأَحسبُ أَنَّ توظيفَ سيبويه لمفهوم "الحَرْف" داخل السِّلْسِلَة الكلامية يُعْوِزُه تحديد بنية أو إِضَافة عنصر آخَر ذي صلَة ببِنَاء الخِطَاب يمكن العثور عليه في سيَاقِ الخِطَاب ذَاته الذي رَتَّبَهُ سيبويه في كتابه. وهدفنا هو عدم اتخاذ ذات الموقف الذي ارتأَهُ النُّحَاةُ العرب الذين تابعوا سيبويه غير مُنْكِرين عليه ذلك١٢٩، ولكن محاولة البَحْث من خلال التَّفْكير في عَامِلٍ آخَر بِمُكْنَتِه أَنْ يُحْدِثَ الفَارق في المسألة.

وهكذا، فإن المعاني المتعددة لمفهوم "الحَرْف" التي نَوَّهَ عنها ابن خلدون، والتي تعملُ على تشتيتِ أَذْهان المتعلِّمين في رَصْدِ اصطلاحات

العلوم والفنون واستيعابها. وليس يُنْسَى أَنَّ هذه الفكرة قريبة المأخذ مما يُسَمَّى ب parasynonymie dynamique لدى Bernard Pottier١٣٠ وحديثه عن النَّواة الدِّلاليَّة للوحدات اللغوية، والتي يُمْكِنُ أَنْ نُمَثِّلَ لها بالشَّكْل التَّخْطِيطِيّ التَّالي:

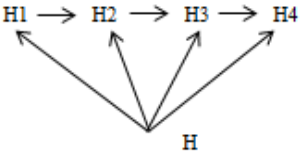

الشَّكْل التَّخْطِيطِي (٦) النَّوَاة الدِّلاليَّة للحَرْف

(إنَّ تعبيرَ دينامية "الحَرْف" في حَقْلِ اللِّسَانيات العربية بين القديم والحديث، سيعمل كعامِلٍ يُسْتَنَدُ إليه في تحديد طبائع الحروف الجِينيَّة١٣١؛ وبالتَّالي يجد التحليلُ نفسَه في شكلٍ من أشكالِ التكرار الذي يتطلب البحث والتَّدْليل لكل عرض متقدم.

تبقى إِذَن ديناميكية "الحَرْف" دالَّة في تَكْثِيف المفاهيم وتوظيفها بطرائقَ مختلفة سواء (Eq١ discursive) (Eq٢ et cursive) أي: بطريقة استدلالية منطقية أو استطراديَّة سريعة، والأمثلة المطروحَة هنا تُبَيِّن بجلاءٍ حُدودَ الطَّريقَتَيْن في التَّنَوُّع الدِّلالي:

١ – Partir، sortir، s'en aller١٣٢.

٢ – Ñawt، Îarf.

يُوَضِّحُ المَثَالُ المأخوذ من Bernard Pottier أنَّ المصطَلَح partir، sortir نفس المقطع النهائي tir الذي يشير إلى تقدم استدلالي. وعند مُقَارَنَة أحد هذين المُصْطَلَحَيْن partir، sortir ب s'en aller يُوجد التَّصَوُّر الاستطراديّ؛ لأنَّه لا يمكن إطلاق عنصر مشترك بين هذه الكلمات. فالدِّلالات ليست متغيرة والمعنى المشترك هو نفسه لا يَتَبَدَّل. وخُلاصَةُ القَوْل في كُلِّ ذلك أَنَّهُ يمكن أن يَثْبُتَ شَكْلُ البِنْيَة أو يتحوَّل والمعنى واحدٌ في كِلْتَا الصِّيغَتَيْن، أو في كِلا المَبْنَيَيْن، وهذا يتوافَقُ مع تحليلنا لأمثلة الخليل وابن جِنِّي في تسميتهما صَوْت ← حَرْف. حيث يكون المصطلح جديدًا ومختلفًا تمامًا ولكنَّ المعنى ثَابِتٌ. إنَّ العلاقة المتبادلة أو التَّلازُم المنطقيّ بين الاستدلالي والاستطراديّ في البِنَاء الخِطَابي لأقسام الكلام في العربية المُتَعَلِّق بمفهوم "الحَرْف" قد تَغَيَّرَ من عَصْر سيبويه إلى تطبيقات عُصور المُبَرِّد والفَرَّاء والسُّيُوطي وغيرهم. أَمَّا فيما يتعلق باللِّسانيات الحَديثة، فقد نَحَا إبراهيم أنيس وتَمَّام حَسَّان وغيرهم قريبًا من ذلك. وبين القديم والحديث يَبْرزُ قاسِمٌ مُشْتَرَكٌ مفاده أَنَّهم جميعًا قد حاولوا اقتراح شيءٍ والكَشْف عن أُسسٍ جديدة في تقسيم الكلام، على حين نجدُ G. Troupeau قد اكتفى فقط بإجراء دراسة إحصائيّة وصفية للمصطلحيّة عند سيبويه في كِتَابِه. يُوَضِّحُ مفهوم "الحَرْف" عند سيبويه أن المؤلف حَاوَلَ أَنْ يُدْخِلَ "أجزاء الخِطَاب" أو "أقسام الكلام" في جَدَلِيَّة استطراديَّة دون الإشْعَارِ بوجودِ أيِّ تَرَابُطٍ مُحْتَمَلٍ بينها. إنَّ جُهودَ سيبويه جَدِيرَةٌ بالثَّنَاء والقَبُول بسبب الوصف الأدق لأجزاء الخِطَاب parties du discours، وشُموله الزَّمَن كَعَامِلٍ أساسيّ ورافِدٍ جوهريّ يسمح لنا بالبحث عن ظاهرة استطراديَّة، أو يُتِيحُ على الأقلِّ تَصَوُّر وجودها في مُكَوِّنَات البِنْيَة المعرفيَّة لأجزاء الكلام. لقد سعى سيبويه في الواقع إلى تحديد نظرية المعرفة التي لا تزال فيها بعضُ المفاهيم وبعض القواعد غير مترابطة مع بعضها البعض. يبدو أن مسألة الزَّمَن التي أشرنا إليها في هذا السياق الخَاصّ ب الجَدَلِيَّة الاستطراديَّة قد أدركهَا André Roman (أندريه رومان) في مقالته١٣٣. فهل تَمَّ تناول هذا البَاعِث أو العَامِل الجوهريّ (عامل الزَّمَن) فيما يتعلق بمفهوم الحَرْفِيَّة ونِطَاقها، مِثْلما تَمَّ تحليله وعرضه في هذا الاستنتاج، ولكنْ بشكلٍ أكثر عُمْقًا من قِبَلِ النُّحَاة العرب واللغويين المحدَثين ؟ إنَّ تقسيمَ سيبويه للكلام، وإيراده للسِّمَات الفارِقَة بين كُلِّ جُزْءٍ مِنْ أجزائِه، وحديثه عن الفَرْق بين الفِعْل والاسم الذي يُصْنَعُ بدلالة الاقترانِ بالزَّمَن لم يُشْرِك "الحَرْف" في هذه السِّمَة التَّفْرِيقيَّة التي كانت بين الأسماء والأفعال في مُجْمَلِ النَّظَرِيَّة المعرفيَّة للألسن. حيثُ اكتفى في تعريف "الحَرْف" بالاستنادِ إلى العنصرين الأولين لأجزاء الكلام، فهو « ما ليس باسم ولا فِعْل »١٣٤. إنَّ تعريفَ سيبويه يَتِمُّ على مرحلتَيْن:

(أ)– تعريف جدليّ سيباويهيّ يجمع (N و V) الاسم والفِعْل في مجموعة.

(ب)– ويَضَعُ "الحَرْف" في غَيْرِيَّةٍ أُخْرَى.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

لا يبدو أنَّ "الحَرْف" في تَعْريفه يَجْتَاحُ الزَّمَان، أو يَتَوَغَّلُ فيه كما هو الحَال بالنِّسْبَة إلى الفعْل، منذ أن صَرَّحَ سيبويه بأنَّ الحَرْفَ "مَا ليس باسم ولا فِعْل". فالحَرْفُ يُسَمِّي الزَّمَن ويُوَجِّهه دون أنْ يَنْخَرِطَ فيه أو يَتَشَبَّع به، أو أنْ يكونَ قَابِلًا للإِشْرَاب معه. تُشِيرُ الأمثلةُ الآتية: (سَأَفْعَلُ) و (سَوْفَ أَفْعَلُ) إلى أنَّ / س/، و/سَوْفَ/ يُسَمِّيَان أو يُوَجِّهَان الزَّمن، ويُمْكِنُ حينئذ لنا أنْ نُطْلِقَ عليهما ما يُسَمَّى ب (اسْم وَقْت الفعْل) دونَ أنْ يكونوا أنفسهم في الوقت المؤقت، أو في الزَّمَنِيَّة الزَّمَانِيَّة. إنَّ هذه العلامات تُوَظَّف نحويًّا مثل الكلمة الواحدة. بالإضافة إلى ذلك، فلدينا أيْضًا أحرف أخرى مثل: (حَاشَا)، و(عَدَا) التي تُستخدم في التُّرَاث العربيّ كأفعال. وعليه يَنْبَنِي القَوْلُ بأنَّهُ هل يُجِيبُ هذا النَّوْع منَ الحُرُوف على ما طَرَحْنَاه منْ نقَاش أعلاه، أي منْ حيث قُدرتها على تحديد الزَّمن، أم أنه يُعَامَل باعتباره فعْلًا بنفس طريقة الفعْل في المَرْتَبَة والعمل دون المحتوى الزَّماني ؟ يَفْرِضُ مفهومُ "الزَّمَن" ومفهومُ "الكلمة" في القِسْمَة الثُّلاثِيَّة للكلام العربيّ غُموضًا على تحليلات النُّحَاة القُدَامَى؛ مما جَعَلَ لسانيًّا فرنسيا ك André Roman يُحاولُ أنْ يَفُكَّ تَعْقيدَهُما من خلال لجوئه إلى عامل الزَّمن الذي اختارَ له الصِّيغة modus١٣٥ التي تَعْنِي المَوَاقيت ليس في القِسْمَة التَّقْلِيديَّة الثلاثية للكلام المتوَارَثَة من أيام سيبويه، بل في قِسْمة الكلام الثُّنائيّة: أسماء الأعيان، مما لم يكن الزَّمان مُكَوِّنًا من مكوِّناتها، والمواقيت: ما تَصَوَّرَه الإنسانُ في حُدود الزَّمان. ويبقى أخيرًا نظرٌ مؤدَّاه أنَّ بَاعِثَ الزَّمَن في الفَضَاء السِّيباويْهِيّ يَظَلُّ مفهوما مُعَقَّدًا للغاية بحيثُ يَتِمُّ تعيينه وتحديده في حَقْلِ الخِطَاب.

الهَوَامش والإِحَالات:

١ يُنْظَر: عبد القادر المهيري، من الكلمة إلى الجملة بحثٌ في منهج النُّحَاة،/٢٤-٢٨، ٣٩-٤٧.

٢ انظر: أمجد طلافحة، ظاهرة المشترَك في مُصطلحات الكِتَاب، ضمن مجلة المعجميّة "تَكَوُّن المصطلحات العلمية والفَنّيّة في المصادر العربية القديمة"، وقائع النَّدوة التي نظمها المشروع التونسي الفرنسيّ المشترَك (02F CMCU ٠٢٠٨) يومَيْ ١٦، و ١٧ أكتوبر ٢٠٠٣م في كلية اللغات بجامعة لوميير- ليون ٢ (فرنسا)، /٤٧-٦١.

٣ منْ تَقديم لِحَسَن حَمْزَة، بعنوان: المصطلح النَّحويّ العربيّ، ضمن مجلة علوم اللغة، المجلَّد التَّاسع، العدد الأول، ٢٠٠٦م، /٩.

٤ المرجع السَّابق، /١١.

٥ Cf. F. de Saussure، Cours de linguistique générale، p. ١١٧.

٦ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٣٠٣/٣.

٧ الأزهري، تهذيب اللغة، ١٤٢/٤. وانظر أيْضًا: نشوان بن سعيد الحميري اليمني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ ه - ١٩٩٩م، ٣٨١٨/٦.

٨ غازي مختار طليمات، المفهوم النَّحْوِيّ في كُلِّيَّات الكَفَوِيّ بين المصطلح والتَّعريف، ١٩٩٤م، /٢.

٩ الزُّبَيْدِي، تاج العروس، ٥٥١/٦.

١٠ يُنْظَر: علي توفيق الحمد، قِراءة في مصطلح سيبويه (تحليل ونقد)، ضمن مجلة علوم اللغة، المجلَّد التَّاسع، العدد الأول، ٢٠٠٦م، /٦٧.

١١ الكَفَوِيّ، الكُلِّيَّات، /١٢٩-١٣٠.

١٢ الأمير مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٨م، /٦.

١٣ Voir Helmut Felber، Standardisation in terminology، Vein، ١٩٨٥، p. ١٧.

١٤ يُنْظَر: علي توفيق الحمد، قِراءة في مصطلح سيبويه (تحليل ونقد)، ضمن مجلة علوم اللغة، المجلَّد التَّاسع، العدد الأول، ٢٠٠٦م، /٦٨.

١٥ التَّهانويّ، كشَّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ٢١٢/١.

١٦ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: العِبَر وديوان المُبْتَدَأ والخَبَر في أَيَّام العَرَب والعَجَم والبَرْبَر وَمَنْ عَاصَرَهُمْ مِنْ ذَوِي السُّلْطان الأَكْبَر المعروف بالمُقَدِّمَة، /٢٨٧. وانظر أيْضًا:

- Gérard Troupeau، La terminologie grammaticale، in Étude sur la grammaire et la lexicographie arabes Recueil d'articles

sélectionnés. Institut Français d'études arabes de Damas. Damas. ٢٠٠٢. p. ١٥٧.

١٧ يُنْظَر: حَسَن حَمْزَة، في الأُصُولِ النَّظَرِيَّة لتاريخ تطوُّر المصطلح النَّحويّ العربيّ، ضمن مجلة علوم اللغة، المجلَّد التَّاسِع، العدد الأول، ٢٠٠٦م، /١٦.

وانظر أيْضًا:

- Hassan Hamzé. Le Kitāb de SĪbāwayhi et la formation de la terminologie grammaticale arabe : pour une relecture dynamique. in Revue 'al-Mucğamiyyah. Tunis. n° ٢٠٠٤ ،٢٠. p. ٩٨.

١٨ Voir Georges Mounin. Dictionnaire de la linguistique. Paris. Quadrige/PUF. ٤e éd.. ٢٠٠٤. p. IX.

١٩ Ibid.. p. IX.

٢٠ Idem.. p. X.

٢١ Voir Jules Marouzeau. Lexique de la terminologie linguistique: Français. allemand. anglais. italien. ٣e. Paris. Paul Geuthner. ٣e éd.. ١٩٥١. p. V.

٢٢ Voir Georges Mounin. Dictionnaire de la linguistique. p. X.

٢٣ انظر: توفيق قريرة، المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب، /٢٩٦.

٢٤ المرجع السَّابق، /٧.

٢٥ الرَّازِيّ، رسالة في حُرُوف العربية، المجلد العشرون، الجزء الأول، /٥٦-٦٠.

Pour plus d'information sur ce sujet voir :

- Ramadān cAbdut-Tawwāb. (١٩٦٩a). 'al-Íurūf 'allatī yutakallamu bihā fī Èayri mawÃicihā libn 'as-SikkĪt 'al-luÈawiyy. MaÔbacat ÉāmicatcAyn Šams. Le Caire. (١ère éd.).

(١٩٦٩b). 'al-Íurūf lil-Ëalīl 'Ibn 'AÎmad 'al-Farāhīdiyy. Le Caire.

(١٩٩٥). ÕalāXatu kutub fī 'al-Îurūf. Maktabatu 'al-ËānÊiyy. Le Caire.

- ÍāÊī ËalīfahKašf 'aÛ-ÛunÙn can 'asāmī 'al-kutub wal-funūn. Dār 'al-cUlūm 'al-ÍadīXah. Beyrouth-Liban. « s.d. ». et Maktabat 'al-MaXnā. Beyrouth-Liban. Bagdad. « s.d. ». vol. ١. pp. ٦٦٠-٦٥٠.

٢٦ انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ١/٦٥٠-٦٦٠.

٢٧ يُنْظَر: الزَّجَّاجِيّ، الإيضَاح في عِلَلِ النَّحْو، /٥٤.

/ أُضِيفَ المستوى الخَطِّي في المُصَنَّفَات الحَدِيثة، من حيثُ استخدام "الحَرْف" في فَنِّ الخطاطة والتصوير. انظر: فاطمة محجوب، الموسوعة الذَّهَبِيَّة للعلوم الإسلاميَّة، ١٣/٣٧١. وانظر أيْضًا: سوسن السكاف، أَشْكَال الحروف العربية وإِشْكالاتها، ضمن منظومة الحُروف العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الطبعة الأُولى، ٢٠١٧م، /١٩-٤٩.

٢٨ Cf. André Roman. Étude de la Phonologie et de la Morphologie de la Koiné Arabe. tome ١. p. ٤٦٤.

٢٩ انظر: فاطمة محجوب، الموسوعة الذَّهَبِيَّة للعلوم الإسلاميَّة، ١٣/٣٧١، ٤٣٢. وانظر أيْضًا:

- شعبان قرني عبد التَّوَّاب، القِيمَةُ الصَّوتيّة للحُروف العربية وتطوراتها، ضمن منظومة الحروف العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الطبعة الأُولى، ٢٠١٧م، /٥١-٩٣.

- Joseph Dichy. Grammatologie de l'arabe : les sens du mot Îarf ou le labyrinthe d'une évidence. in Studies in the history of arabic grammar II. Nijmegen. ٢٧ April١-May ١٩٨٧. Edited by Kees Versteegh and Michael G. Carter. John Benjamins Publishing Company. Amsterdam/Philadelphia. ١٩٩٠. pp. ١٢٨-١١١.

Voir aussi du même auteur :

- L'écriture dans la représentation de la langue: la lettre et le mot en arabe. thèse d'état (en linguistique). Université Lumière-

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

Lyon ١٩٩٠، ٢.

- « Pour une lexicomatique de l'arabe : l'unité lexicale simple et l'inventaire fini des spécificateur du domaine du mot »، in Meta journal des traducteurs، vol. ٤٢، n° ٢، Montréal، ١٩٩٧، pp. ٣٠٦-٢٩١.
- Mémoire des racines et mémoire des mots: le lexique stratifié de l'arabe، in Baccouche T.، Glas A. et Mejri S.، dir.، La Mémoire des mots، Revue Tunisienne de Sciences Sociales، ٣٥ ،١١ème année، ١٩٩٨، pp. ١٠٧-٩٣.
- Michael Carter، Arab linguistics: An Introductory Classical text with Translation and Notes. Studies in the History of Linguistics، p. ١٥.

٣٠ يُنْظَر: الجوهريّ، الصِّحَاح تاج اللغة وصِحَاح العربية، ١٣٤٢/٤.

(جَاءَ فِي لِسَانِ العربِ لابن مَنْظُور: « الحَرْفُ مِنْ حُروف الهِجَاء: مَعْرُوفٌ وَاحِدُ حُرُوفِ التَّهَجِّي. والحَرْفُ: الأَداة الَّتِي تُسَمَّى الرابطةَ لأَنها تَرْبُطُ الاسمَ بالاسْم والفِعْلَ بالْفِعْل كَ (عَنْ) وَ(عَلَى)، وَنَحْوِهِمَا، قَالَ الأَزهريُّ: كلُّ كَلِمَة بُنِيَتْ أَداةً عَارِيَةً فِي الْكَلَام لتَفْرِقَة المعاني فاسمُها حَرْفٌ، وَإِنْ كَانَ بِنَاؤُهَا بِحَرْف أَو فَوْقَ ذَلِكَ مِثْلُ (حَتَّى)، وَ(هَلْ)، و(بَلْ)، وَ(لَعَلَّ)، وكلُّ كَلِمَة تقرأُ عَلَى الْوُجُوهِ مِنَ الْقُرْآنِ تُسَمَّى حَرْفاً، تَقُولُ: هَذَا فِي حَرْف ابْنِ مَسْعُود أَي فِي قِرَاءَة ابْن مَسْعُود. ابْنُ سِيدَهْ: والحَرْفُ القراءة الَّتِي تقرأُ عَلَى أَوجُه، وَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ قَوْلِه، (عَلَيْهِ السَّلَامُ): « نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَة أَحْرُف كلُّها [كُلٌّ] شافٍ كافٍ ».

(Voir ʾAbū Bakr ʾIbn ʾAbī Šaybah، ʾal-Kitāb ʾal-muÒannaf fīl-ʾaḥādīṯ wal-ʾāṯār، vol. ٦، p. ١٣٧.)

أَراد بالحرْفِ اللُّغَةَ. قال أَبو عبيد وأَبو الْعَبَّاس. نَزَلَ عَلَى سَبْعِ لُغات مِنْ لُغَاتِ الْعَرَب، قَالَ: وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَن يَكُونَ فِي الْحَرْفِ الْوَاحِدِ سَبْعَةُ أَوجُه هَذَا لَمْ يُسْمَعْ بِه، قَالَ: وَلَكِنْ يَقُولُ هَذِهِ اللُّغَاتُ مُتَفَرِّقَةٌ فِي الْقُرْآنِ، فَبَعْضُهُ بِلُغَةِ قُرَيْش، وَبَعْضُهُ بِلُغَةِ أَهل الْيَمَنِ، وَبَعْضُهُ بِلُغَةِ هوازِنَ، وَبَعْضُهُ بِلُغَةِ هُذَيْل، وَكَذَلِكَ سَائِرُ اللُّغَات وَمَعَانِيهَا فِي هَذَا كُلِّه وَاحِدٌ، وَقَالَ غَيْرُهُ: وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَن يَكُونَ فِي الْحَرْفِ الْوَاحِدِ سبعةُ أَوجه، عَلَى أَنه قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مَا قَدْ قُرِئَ بِسَبْعَة وَعَشْرَة، نَحْوُ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة/٤]

(Voir ʾAbū ManÒūr MuÎammad ʾIbn MuÎammad ʾal-Māṯrīdī، Tafsīr ʾal-Māṯrīdī (Taʾwīlāt ʾahl ʾas-sunnah)، vol. ٢، p. ٣٤٥.)

وَ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة/٦٠].

(Voir ʾAbū ʾal-Qāsim MaÎmūd ʾIbn ʾAbī ʾal-Íasan ʾan-Naysābūriyy، Bāhir ʾal-burhān fī macānī muškilāt ʾal-qurʾān، p. ٤٢٦.)

وَمِمَّا يُبَيِّنُ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ مَسْعُود: "إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ القراءة فوجدتهم متقاربين فاقرأُوا كَمَا عُلِّمْتُمْ إِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحدكم هَلُمّ وتعالَ وأَقْبِلْ". قَالَ ابْنُ الأَثير: "وَفِيهِ أَقوال غَيْرُ ذَلِكَ، هَذَا أَحسنها". والحَرْفُ فِي الأَصل: الطَّرَفُ والجانبُ، وَبِهِ سُمِّيَ الحَرْفُ مِنْ حُرُوفِ الهِجاء. وَرَوَى الأَزهري عَنْ أَبي الْعَبَّاس أَنه سُئِلَ عَنْ قَوْلِه: نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَة أَحْرُف فَقَالَ: مَا هِيَ إِلَّا لُغَاتٌ. قَالَ الأَزهري: فأَبو الْعَبَّاس النحْويّ وَهُوَ وَاحِدُ عصْره قَد ارْتَضَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبو عُبَيْد واستصوبه، قَالَ: وَهَذِهِ السَّبْعَةُ أَحرف الَّتِي مَعْنَاهَا اللُّغَاتُ غَيْرُ خَارِجَة مِنَ الَّذِي كُتِبَ فِي مَصَاحف الْمُسْلِمِينَ الَّتِي اجْتَمَعَ عَلَيْهَا السلَف المرضِيُّون والخَلَف الْمُتَّبِعُونَ، فَمَنْ قرأَ بِحَرْف وَلَا يُخالِفُ الْمُصْحَفَ بزِيَادَة أَو نُقْصَان أَو تَقْدِيم مؤخّر أَو تأْخير مُقَدَّم، وَقَدْ قرأَ بِهِ إِمَامٌ مِنْ أَئمة القُرّاء الْمُشْتَهِرِينَ فِي الأَمصار، فَقَدْ قرأَ بِحَرْف مِنَ الْحُرُوف السَّبْعَة الَّتِي نَزَلَ الْقُرْآنُ بِهَا، وَمَنْ قرأَ بِحَرْف شَاذٍّ يُخَالِفُ الْمُصْحَفَ وَخَالَفَ فِي ذَلِكَ جُمْهُورَ الْقُرَّاء الْمَعْرُوفِينَ، فَهُوَ غَيْرُ مُصِيب، وَهَذَا مَذْهَبُ أَهل الْعِلْم الَّذِينَ هُمُ القُدوة وَمَذْهَبُ الرَّاسِخِينَ فِي عِلْم الْقُرْآنِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَإِلَى هَذَا أَوْماَ أَبو الْعَبَّاس النَّحْوِيُّ وأَبو بَكْر بْنُ الأَنباري فِي كِتَاب لَهُ أَلفه فِي اتِّبَاعِ مَا فِي الْمُصْحَف الإمام، وَوَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ أَبو بَكْر بْنُ مُجَاهِد مُقْرِئُ أَهل الْعِرَاقِ وَغَيْرُهُ مِنَ الأَثبات المتْقنين ».

(Pour plus d'information sur ce sujet voir NiÛāmud-Dīn ʾal-Íasan ʾIbn MuÎammad ʾan-Naysābūriyy، Çarāʾib ʾal-qurʾān waraÈāʾib ʾal-furqān، Dār ʾal-Kutub ʾal-cIlmiyyah، Beyrouth، (١ère éd.)، ١٤١٦ h.).

يُنْظَر: ابن منظور، لسان العرب، ٤١/٩-٤٢. ويُرَاجَع أَيْضًا: الرَّازِيّ، مُختار الصِّحَاح، /٧٠. والفيروزابادي، القَامُوس المُحِيط، /٧٩٩. والمُنْجِد

في اللغة، /١٢٦، ١٢٨. ويُنْظَر أيْضًا: الزُّبَيْدِيّ، تاج العروس من جواهر القاموس، ١٢٨/٢٣، باب (ح ر ف). والأَصْفَهَاني، المُفْرَدات في غَريب القُرآن، /٢٢٨-٢٢٩. وانظر أيْضًا: التَّهَانَوِي، كَشَّاف اصطلاحات الفنون، ٣٢٨/١-٣٣١، ٦٤٣-٦٥١. والنِّيسَابُوريّ، غَرَائِب القُرْآن ورَغَائِب الفُرْقَان، ٣١/١-٣٢.

٣١ تعتمدُ مَعْجَمَةُ كثيرٍ من المفردات العربية عملية "الإصْهَار"، أي ذوبان مكوِّن مُعجميّ في مُكَوِّن مُعجميّ آخَر لإنتاج مُفردة جديدة. كما تعتمدُ غالب النَّمَاذج اللِّسَانية مفاهيم وعلائق دلالية محوريَّة لرصدِ تعالُق البِنْيَة الدلالية والبِنْيَة الموضُوعيّة، وقد لَعِبَ هذا المفهوم دورًا أساسيًّا في معالجة مجموعة من الظَّواهر في إطارِ الدِّلالة المُعجمية. لمزيدِ بسط القول في هذه المسألة راجع:

- عبد القادر الفاسي الفهري:

(المعجمة والتَّوسيط، نظرات جديدة في قضايا اللغة العربية، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧م، /١٥-٢٩.

(المعجم العربيّ، نماذج تحليلية جديدة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٦م، /٣٤.

- محمد غاليم، المعنى والتَّوافُق، مبادئ لتأصيل البحث الدلاليّ العربيّ، منشورات معهد الدراسات والأبحاث والتَّعريب، الرباط، ١٩٩٩م، /٤٥٧.

- ماجدولين النهيبيّ، مَعْجَمَة أَفْعَال الكيمياء بين التَّغيير والتَّحوُّل، ضمن البِنَى الزَّمَنيَّة وأشكالها، منشورات معهد الدِّرَاسَات والأبحاث للتَّعريب وجمعية اللِّسَانيات بالمغرب، مايو ٢٠٠٠م، /١٣٩-١٥٩.

٣٢ يُنْظَر: محمد غاليم، عن معجمة الزَّمَن في بعض أفعال المعجم العربيّ، ضمن البِنَى الزَّمَنيَّة وأشكالها، منشورات معهد الدِّرَاسَات والأبحاث للتَّعريب وجمعية اللِّسَانيات بالمغرب، مايو ٢٠٠٠م، /١٩٣-١٩٦. نَسْتَخْلِصُ من ذلك أَنَّ المَقُولَة التَّصَوُّريّة الكُبْرَى هي مَادة (حَرْف)، وأَنّ المرادفات الأُخرى التي تَتَوَافَقُ مُكوّناتُها في بِنْيَتِهَا الدِّلاليّة والمعجمية تنتمي إلى هذه المادَّة.

٣٣ Cf. Abderrazzak Bannour, Les champs sémantiques dans lesquels s'origine la terminologie grammaticale arabe, in Revue 'al-Mucǧamiyyah, Tunis, n° ٢٠٠٤، ٢٠، pp. ٢٠-١٣.

٣٤ مِنْ تَقديم لإبراهيم بن مراد وَحَسَن حَمْزَة، ضِمْن مجلة المعجميّة "تَكَوُّن المصطلحات العلمية والفَنّيّة في المصادر العربية القديمة"، وقائع النَّدوة التي نظمها المشروع التونسي الفرنسيّ المشترَك (٠٢F CMCU ٠٢٠٨) يومَيْ ١٦، و ١٧ أكتوبر ٢٠٠٣م في كلية اللغات بجامعة لوميير- ليون ٢ (فرنسا)، /٨. وانظر أيْضًا: منذر عياشي، مِنَ الكلمة إلى العَلامَة نحو دراسة نُصُوصيَّة، مجلة علامات، الجزء ٦١، مُجَلَّد ١٦، مايو ٢٠٠٧م، /٨٩-١٣٧.

٣٥ Cf. Abderrazzak Bannour, Op. cit., p. ١٤.

٣٦ Voir 'as-Suyūôī, Hamc 'al-hawāmic šarî Êamc 'al-Êawāmic fī cilm 'al-carabiyyah, vol. ١, p. ٤٠. Voir aussi Abderrazzak Bannour, Op. cit., p. ١٨.

٣٧ Cf. Abderrazzak Bannour, Op. cit., p. ١٥.

٣٨ Voir 'Ibn Mālik, Šarî 'at-Tashīl Tashīl 'al-fawā'id wa takmīl 'al-maqāÒid, vol. ١, p. ٣٥١. Et voir aussi:

- 'Ibn Yacīš, Šarî 'al-mufaÒÒal, Dār 'al-Kutub 'al-cIlmiyyah, Beyrouth-Liban, (١ère éd.), vol. ٤, p. ٢٢.

٣٩ Cf. Abderrazzak Bannour, Op. cit., p. ١٥.

٤٠ انظر: المرادي، الجنى الدَّاني في حروف المعاني، /٢٣-٢٥.

هذا نموذجٌ واضحٌ للمفاهيم التي تتنزَّلُ في الفَضَاء النَّحْويّ للدلالة على ظواهر فَلَكيَّة.

٤١ بَيَّنَ عبد الرحمن الحاج صالح عِلْميَّة هذه التَّسْمِيَة، وسبب اعتماد علماء العربية عليها، في أَنَّ المقصُودَ بالحَرَكَة هنا هي الحَرَكَة العُضْوِيَّة التي تُمَكِّنُ في بعض الحَالات الصَّوتية من إخراج الحَرْف، والانتقال منه إلى حَرْفٍ آخَر. يُنْظَر: عبد الرحمن الحاج صالح، تأثير النَّظَريَّات العِلْميَّة اللُّغَويَّة المُتَبَادَل بين الشَّرْق والغرب: إيجابياته وسلبياته، ضمن بحوث ودراسات في اللِّسَانيَّات العربية، الجزائر، ٢٠٠٧م، ١٧٩/٢.

٤٢ Cf. Michel Neyreneuf et Ghalib Al-Hakkak, Grammaire active de l'arabe littéral, p. ١٥.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

٤٣ L'emploi fondamental de la vocalisation est l'utilisation du sukūn (= "absence de voyelle، une consonne muette") car il permet le repos.

- « إنَّ الأَصْلَ في كُلِّ كلمةٍ هو سُكُونُ آخِرِهَا ».

Voir ʾIbrāhīm ʾAnīs، Min ʾasrār ʾal-luÈah، Maktabatu ʾal-ʾAnÊlū ʾal-MiÒriyyah، Le Caire، sixième édition، pp. -٢٤٢ ٢٤٣.

- « فالسُّكُونُ هو الأصل والأَغْلَب والأَكْثَر؛ لأَنَّهُ سَلْبُ الحَرَكَة، وذلك أَبْلَغُ في تَحْصِيلِ غرض الاستراحَة ».

Voir ʾAmīn cAliyy ʾas-Sayyid، Dirāsātun fiÒ-Òarf، p. ٥٠.

Dans la grammaire traditionnelle arabe nous trouvons ainsi : [يَرْمُوْن] →[يَرْمِيْ + وْن]

- « ويُحذَف هذا المعتلُّ الساكنُ، إذا تلاه ساكنٌ آخر، وذلك نحو: [يَرْمِيْ + وْن]، فإن الياء تُحذَف هَاهُنَا، دَفْعًا لالتقاءِ السَّاكِنَيْن، فَيُقَال: [يَرْمُوْن]؛ إنَّمَا ضُمَّت الميم لِتُنَاسِبَ الواو ».

Voir RaÃiyy ʾad-Dīn ʾal-ʾIstirābāÆī، Šarî Šāfiyat ʾIbn ʾal-ÍāÊib، vol. ٣، p. ١٨٥. Voir aussi ʾal-Mubarrid، ʾal-MuqtaÃab، TaÎqīq MuÎammad cAbdil Ëāliq cUÃaymah، cĀlam ʾal-Kutub، Beyrouth-Liban، vol. ١، p. ١٣٤.

-« وَعَلَامَةُ الرَّفْعِ ستَّة أَشْيَاء الضَّمة، وَالْوَاو، والفَتْحَة، وَالْألف، وَالنُّون، والسُّكُون. فَالضَّمُّ: عبد اللَّه، وَزيد. وَالْوَاو: أَخُوك، وَأَبُوك. والفتحة: عبدا اللَّه في الِاثْنَيْن. وَالْألف: في قَوْلهم: "الزَّيْدَان"، و"العَمْرَان". وَالنُّون: في يقومان، ويقومون. والسُّكُون: في "يَرْمِيْ"، وَ"يَقْضِيْ"، و"يَغْزُوْ"، و"يَخْشَىْ" ».

Voir ʾal-ËalīlʾIbn ʾAÎmad، ʾal-Éumal fin-naÎw، p. ١٤٣.

- « واعْلَمْ أَنَّ الآخِرَ إِذَا كَانَ يُسَكَّنُ في الرَّفْعِ حُذِفَ في الجَزْم، لِئَلَّا يكون الجَزْمُ بمنزلة الرَّفْع، فَحَذَفُوا كَمَا حَذَفُوا الحَرَكَةَ ونُون الاثنين والجَمِيع. وذلك قولك: "لم يَرْمِ"، و"لم يَغْزُ"، و"لم يَخْشَ". وهو في الرَّفْعِ سَاكِنُ الآخِر، تقول: "هو يَرْمِيْ"، و"يَغْزُوْ"، و"يَخْشَىْ" ».

Voir sībāwayhi، ʾal-Kitāb. (٢ème éd.)، vol. ١، p. ٢٣.

٤٤ Voir cAbbās Íasan، ʾan-NaÎw ʾal-wāfī، vol. ١، p. ٩٩. Et voir aussi NāÛir ʾAğğayš، Šarî ʾat-tashīl ʾal-musammā Tamhīdʾʾalqawācid bišarî tashīl ʾal-fawāʾid، vol. ٨، p. ٣٩٨٣.

٤٥ يُنْظَر: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار الصفاء، الأردن، الطَّبْعة الأُولى، ١٩٩٨م، /٢٠٧..

٤٦ يُنْظَر: عبد الرحمن الحاج صالح، تأثير النَّظَرِيَّات العِلْمِيَّة اللُّغَوِيَّة المُتَبَادَل بين الشَّرْق والغرب: إيجابياته وسلبياته، ضمن بحوث ودراسات في اللِّسَانِيَّات العربية، الجزائر، ٢٠٠٧م، ١٨٣/٢.

٤٧ يُنْظَر: عبد القادر المهيري، من الكلمة إلى الجملة بحثٌ في منهج النُّحَاة، /٣٩-٤٧. وانظر أَيْضًا: توفيق قريرة، دراسة تحليلية لكتاب من الكلمة إلى الجملة: بحثٌ في منهج النحاة، /٨٧.

٤٨ يرى ابنُ جِنِّي أَنَّ الألفَ لا تكون إلاَّ ساكنة أو هي المَدَّة السَّاكنة. أَمَّا الواو والياء فَيُوصَفَان أَيْضًا بالسُّكُون إذا كانا حرفَيْ مَدّ. يُنْظَر: ابن جِنِّي، سِر صناعة الإعراب، ٤٥/١، ٦٥١/٢-٦٥٣. ويُنْظَر أَيْضًا: ابن جِنِّي، الخصائص، ٣٢٩/٢.

٤٩ يُنْظَر: عبد القادر المهيري، من الكلمة إلى الجملة بحثٌ في منهج النُّحَاة، / ٢٤-٢٨، ٣٩-٤٧. وانظر أَيْضًا: توفيق قريرة، دراسة تحليلية لكتاب من الكلمة إلى الجملة: بحثٌ في منهج النحاة، /٨٥.

٥٠ انظر: الأزهريّ، تهذيب اللغة، ٢٧١/٣.

٥١ انظر: المرادي، الجنى الدَّاني في حُرُوف المعاني، /٢٤.

٥٢ الحَج/ ١١.

٥٣ انظر: المرادي، الجنى الدَّاني في حُرُوف المعاني، /٢٥. وانظر أَيْضًا:

- ʾAÎmad ʾIbn MuÎammad ʾIbn ʾal-MuÌtār ʾar-RāzÌ، Risālah fÎ Îurūfʾʾal-carabiyyah، in MaÊallat Machad ʾal-MaÌÔūÔāt

ʾal-cArabiyyah، vol. ٢٠، première partie، pp. ٩٧-٩٣.

- ʾat-Tahānawī، Mawsūcat kaššāf ʾiÔÔilāîāt ʾal-funūn، vol. ١، pp. ٣٢٦-٣١٨ et ٦٥١-٦٤٣.

- ʾaz-Zamaǐšariyy، ʾal-MufaÒÒal، pp. ٣٣٤-٢٨٣.

- ʾIbn ManÛūr، Lisān ʾal-carab، (article îarf)، vol. ٩، p. ٤٢.

- ʾIbn Sīdah، ʾal-MuǐaÒÒaÒ، vol. ٤، p. ٤٤.

- ʾIbn Yacīš، Šarî ʾal-mufaÒÒal، vol. ٨، p. ٢.

٥٤ انظر: ابن جِنّي:

- الخصائص، ٣٠٤/٢.

- سر صناعة الإعراب، ١٧/١-١٨. وانظر أيْضًا: ابن الحاجب، أمالي ابن الحاجب، ٤٢٨/١. وعباس حسن، النحو الوافي، ٤٥١/٢.

٥٥ Cf. Sībāwayhi، ʾal-Kitāb، vol. ١، p. ١٢.

٥٦ انظر على سبيل المِثَال: ابن يعيش، شرح المُفَصَّل، ٧٣/١. وابن الحاجب، الكافية في علم النحو، /٥١. والرُّمَّاني، رسالة منازل الحروف، /٦٧.

٥٧ Cf. Michael Carter، Arab linguistics: An Introductory Classical text with Translation and Notes. Studies in the History of Linguistics، p. ١٥.

٥٨ Cf. Wolfdietrich Fischer، Zur Herkunft des grammatischen Terminus îarf، Jerusalem Studies in Arabic and Islam، ١٩٨٩، pp. ١٤٦-٣٥.

٥٩ Id.، ibid.، p. ١٤٥.

٦٠ سيبويه، الكِتَاب، ١/١.

٦١ المُبَرِّد، المُقْتَضَب، ٣/١.

٦٢ الزَّجَّاجِيّ، الإيضاح في عِلَلِ النَّحْو، /٤٤.

٦٣ يُنْظَر: حسن حمزة، في القراءة المنطقية لنصوصِ النَّحْو، حوليات الجامعة التُّونسية، العدد ٤٦، ٢٠٠٢م، /٥٧٤-٥٧٥.

٦٤ المرجع السَّابِق، /٥٧٥-٥٧٦.

٦٥ المرجع ذَاتُهُ، /٥٧٥.

٦٦ نَفْسُهُ، /٥٧٦.

٦٧ الزَّمخشريّ، المُفَصَّل، /٣٧٩.

٦٨ ابن جِنّي، سر صناعة الإعراب، ٢٨/١.

٦٩ يُنْظَر: أبو البركات كمال الدِّين الأنباري، أسرار العربية، /٤٠. وانظر أيْضًا: شهاب الدِّين الأندلسي أحمد بن محمد بن محمد البجائي، تحقيق: نجاة حسن عبد الله، الحُدُود في عِلْمِ النَّحْو، /٤٣٦.

٧٠ ابن يعيش، شرح المُفَصَّل، ٧٣/١.

٧١ ابن الحاجب، الكافية في علم النحو، /٥١.

٧٢ الرُّمَّاني، رسالة منازل الحروف، /٦٧.

٧٣ الزَّجَّاجِيّ، الإيضاح في عِلَلِ النَّحْو، /٥٥.

٧٤ أبو بكر السَّرَّاج، الأُصُول في النحو، ٤٠/١.

٧٥ يُنْظَر: الزَّجَّاجِيّ، الإيضَاح في عِلَلِ النَّحْو، /٥٤. لَكِنْ كيفَ يتسنَّى لنا إقَامة حَدٍّ فاصِلٍ بين "غَيْرِه" في القوْل الأول و"غَيْرِه" في القَوْل الثَّاني ؟ وبمعنًى آخَر: كيفَ نُحَدِّدُ حُصُول معنى "الحَرْف" في "غَيْرِه" ؟ هل يكون تحديد المعنى في هيئة مَا يأتي بعده مِنْ مُرَكَّبَات ؟ أم يكون تحديد المعنى في هيئة مَا يأتي قبل الحَرْف مِنْ تراكيبَ نحوية ؟ أم يكونُ التَّحديد في هيئة القَالِب التَّصْرِيفِيّ لِلَفْظِ الحَرْف تُرَشِّحُ لمعنًى نَحْوِيٍّ مُعَيَّن ؟

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

إنَّ الإجابةَ عن هذه الأسئلة تَكْمُنُ في الدِّلالة الدَّاخِلِيَّة للمُرَكَّبَات الاسمية أو الفِعْلِيَّة التي تُحيطُ بالحَرْف، وكذلك في العَلَاقَة القَائِمَة بين عُنْصُرَيْ التَّرْكيب (قَبْلَ وبَعْدَ الحَرْف) بواسطة الحرْف نفسه. فهذا الحَرْف يأخذُ دور المُحَدِّد أو المُخَصِّص في مثل هذه التَّرَاكيب، أي: أَنَّ المعنى الذي يَقُومُ بأدائه الحَرْف هو المعنى التَّركيبيّ الذي يَتَّضِحُ من تَعَالُقِه بغيره مِن الوحدات الكلاميَّة التي تأتلفُ معه في السِّيَاق. ولمزيد بَسْط القَوْل في هذه المسألَة يُنْظَر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللِّسَانيَّات واللغة العربية نماذج تركيبيّة ودلاليَّة، الكِتَاب الأول، /١٦٦-١٧١.

٧٦ أبو حَامد الغزاليّ، المستصفى، /١٨.

٧٧ يُنْظَر: عبد القادر المهيري، من الكلمة إلى الجملة بحثٌ في منهج النُّحَاة، /٢٤-٢٨، ١٠٩-١٢٢. وانظر أيْضًا: توفيق قريرة، دراسة تحليلية لكتاب من الكلمة إلى الجملة: بحثٌ في منهج النحاة، /٨٥، ٩٧.

٧٨ يُنْظَر: عبد القادر المهيري، من الكلمة إلى الجملة بحثٌ في منهج النُّحَاة، / ١٠٩-١٢٢.

٧٩ رضي الدين الإستراباذي، شرح كافية ابن الحاجب، ٣٧/١.

٨٠ المصدر السابق، ٣٧/١. نَعْنِي بأسماء الأَعْيَان ما تَصَوَّرَهُ الإنسان خارج حدود الزَّمَان، فليس الزَّمَان مُكَوِّنا من مكوِّناته ك (الأرض)، و(الولد)، و(الكِتَاب). يُرَاجَع في ذلك:

André Roman, Grammaire de l'arabe, Que sais-je ?, pp. ١١٥-١١٤.

وانظر أيْضًا: حسن حمزة، المجمل في العربية النِّظَاميَّة، /٦٥.

٨١ الزجاجي، الإيضاح في علل النَّحْو، /٤٩.

٨٢ المصدر السابق، /٤٩.

٨٣ يُنْظَر: عبد القادر المهيري، من الكلمة إلى الجملة بحثٌ في منهج النُّحَاة، /٢٤-٢٨. وانظر أيْضًا: توفيق قريرة، دراسة تحليلية لكتاب من الكلمة إلى الجملة: بحثٌ في منهج النحاة، /٨٥-٨٦.

٨٤ راجع في ذلك: عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النَّحْو العربيّ، مؤسسة الصباح، الكويت، /٩.

٨٥ يُنْظَر على سبيل الاستشهاد: محمد عبد الباسط القاضي، كتاب المعروف من أسرار الحروف، محاولة في تأمُّل حُرُوف الأبجديَّة ومُعطياتها لكلمات اللغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٣م.

٨٦ هناك كِتَابٌ منسوبٌ للخليل بتحقيق: رمضان عبد التَّوَّاب، يُفَسِّرُ معاني الحُروف الهجائيَّة حَرْفًا حَرْفا، بتفسيرات لا نعثرُ عليها في بطون كتب اللغة. ولمزيد بَسْط القول في المسألة راجع: رمضان عبد التَّوَّاب، ثلاثة كتب في الحُروف للخليل بن أحمد وابن السِّكيت والرَّازِي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

٨٧ يُنْظَر في ذلك: أبو نصر الفارابي، كتاب الحُروف، /١٣٧، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ٢٠٣.

٨٨ Cf. Gérard Troupeau, La terminologie grammaticale, in Étude sur la grammaire et la lexicographie arabes Recueil d'articles sélectionnés, Institut Français d'études arabes de Damas, Damas, ٢٠٠٢, p. ١٥٩. Voir aussi à ce point :

- Joseph Dichy, Grammatologie de l'arabe : les sens du mot ḥarf ou le labyrinthe d'une évidence, in Studies in the history of arabic grammar II, Nijmegen, ٢٧ April١-May ١٩٨٧, Edited by Kees Versteegh and Michael G. Carter, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam/Philadelphia, ١٩٩٠, pp. ١٢٣ ،١٢٢ ،١١٧ ،١١٣ ،١١٢ et ١٢٨. Voir aussi du même auteur, L'écriture dans la représentation de la langue: la lettre et le mot en arabe, thèse d'état (en linguistique), Université Lumière-Lyon ١٩٩٠ ،٢.
- Bernard Pottier, Sémantique générale, p. ٤٢.
- 'ar-Rummānī, Macānī 'al-ḥurūf, passim. Voir aussi 'al-Murādiyy, 'al-Ḥanā 'ad-dānī, passim.

٨٩ Cf. 'Ibn ManÛūr, Lisān 'al-cArab, Dār Ñādir, Beyrouth-Liban, (٣ème éd.), vol. ١, p. ١٢ :

« قَالَ ابْن سِيدَه: الألف حرف هجاء. وَقَالَ الأخفش هِيَ من حُرُوف المعجم مُؤَنّثَة وَكَذَلِكَ سَائِر الْحُرُوف. وَقَالَ: وَهَذَا كَلَام الْعَرَب، وَإِذا ذكرت جَازَ ».

Dans ʾal-MuqtaÃab، TaÎqīq MuÎammad cAbdil Ëāliq cUÃaymah، cĀlam ʾal-Kutub، Beyrouth-Liban، vol. ٤، p. ٤٣. ʾal-Mubarrid dit :

« وَأَمَّا حُرُوف المُعْجَم فَإِنَّهَا عِبَارَات تكون نكرَة بِغَيْر ألف وَلَام، وَمَعْرِفَة بهما كَقَوْلِك: الْألف وَالْبَاء وَالتَّاء. وَأَمَّا فِي التَّهَجِّي فقولك: با وتا وقف لَا يدْخلهُ إِعْرَاب؛ لِأَنَّ التَّهَجِّي على الْوَقْف، فَإِن جَعلتهَا أَسمَاء عطفت بَعْضهَا على بعض، وَقُلْتَ: ألف وباء وتاء، تعرب وتمد؛ لِأَنَّهُ لَا يكون اسْم على حرفين أَحدهمَا حرف لين ».

٩٠ يُنْظَر على سبيل المِثَال:

- علي توفيق الحمد، قِراءة في مصطلح سيبويه (تحليل ونقد)، ضمن مجلة علوم اللغة، المجلَّد التَّاسِع، العدد الأول، ٢٠٠٦م، /٦٧-١١٦.

وانظر أيْضًا:

- عصام نور الدِّين، المصطلح النَّحْوِيّ في مرحلة النَّشْأة، ضمن مجلة علوم اللغة، المجلَّد التَّاسِع، العدد الأول، ٢٠٠٦م، /٣٧-٦٦.

٩١ يُنْظَر: حَسَن حَمْزَة، في الأُصُولِ النَّظَرِيَّة لتاريخ تطوُّر المصطلح النَّحويّ العربيّ، ضمن مجلة علوم اللغة، المجلَّد التَّاسِع، العدد الأول، ٢٠٠٦م، /١٧.

٩٢ المرجع السَّابِق، /١٧.

٩٣ يُنْظَر: عصام نور الدِّين، المصطلح النَّحْوِيّ في مرحلة النَّشْأة، ضمن مجلة علوم اللغة، المجلَّد التَّاسِع، العدد الأول، ٢٠٠٦م، /٥٨-٥٩.

٩٤ المرجع السَّابِق، /٥٩. وانظر أيْضًا نَقْلًا عن عصام نور الدِّين في المَقَالَة ذاتها: مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي: أعماله ومنهجه، دار الرَّائد العربيّ، بيروت – لبنان، الطَّبْعة الثَّانية، ١٩٨٦م، /٢١٩.

٩٥ يُنْظَر: عصام نور الدِّين، المصطلح النَّحْوِيّ في مرحلة النَّشْأة، ضمن مجلة علوم اللغة، المجلَّد التَّاسِع، العدد الأول، ٢٠٠٦م، /٦٠.

٩٦ يُنْظَر: المراديّ، الجنى الدَّاني في حروف المعاني، /٩٦. وانظر أيْضًا حول سِمَات الحُرُوف الذَّاتِيَّة في العربية:

وداد ميهوبي، الجُمْلَة بين النَّحْو العربيّ واللِّسَانِيَّات المعاصِرَة، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة الحاج لخضر – باتنة، الجزائر، ٢٠٠٩-٢٠١٠م، /١٢٨-١٣٢.

٩٧ رَاجِع في ذلك: ابن هشام، مغني اللبيب، ٤٠٩/١-٤٦١. وانظر أيْضًا: هدى ناجي، نبذة عن معاني الحُرُوف في العربية دراسة توثيقيَّة نحويَّة، مركز إحياء التُّرَاث العلمي العربيّ، جامعة بغداد، /١-٢٨.

٩٨ يُنْظَر: المراديّ، الجنى الدَّاني في حروف المعاني، /٣٨٧. وانظر أيْضًا هذه الفِكْرَة عند: سيبويه، الكتاب، ٣٠٤/٢، والزَّركشيّ، البرهان في علوم القرآن، ٢٥٢/٤،

٩٩ يُرَاجَع: أبو نصر الفَارابي، كتاب الحروف، /١٣٩.

١٠٠ يُنْظَر: مصطفى النحاس، دراسات في الأدوات النَّحويَّة، /٨٣.

١٠١ ابن جِنِّي، سِرّ صناعة الإعراب، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٤م، ٣٠٤/١، وانظر أيْضًا: هادي عطية مطر الهلالي، نظرية الحروف العاملة ومبناها وطبيعة استعمالها القرآني بلاغيًّا، /١٢٩.

١٠٢ يُنْظَر: هادي عطية مطر الهلالي، نظرية الحروف العاملة ومبناها وطبيعة استعمالها القرآني بلاغيًّا، /١٢٩.

١٠٣ يُنْظَر: أبو نصر الفَارابي، كتاب الحروف، /١٣٩-١٤٠. كما يَخْلُصُ حسن عباس إلى أَنَّ العربيَّ قد اعتمدَ خصائصَ الحُروف ومعانيها في ألفاظِهِ للتَّعْبِيرِ عن معانيه، ولقد آخَى في ذلك بِصُورةٍ عامَّة بين القِيَم الجَمَالِيَّة والقِيَم الإنسانِيَّة؛ مِمَّا يُشِيرُ إلى فِطْرِيَّةِ العربية. انظر: حسن عباس، خصائص الحُرُوف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكُتَّاب العرب، دمشق، ١٩٩٨م، /٨.

١٠٤ يُنْظَر: توفيق العلوي، الرَّمزيَّة الصَّوتية في حروف المعاني، /٩٨، ١٠١، ١٠٢، ١٥٦-١٥٨. وانظر أيْضًا: عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النَّحو العربيّ، /٢٠-٢١.

١٠٥ انظر: علي حلمي موسى، دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٣م.

١٠٦ ابن جِنِّي، الخصائص، ١٦٤/٢.

١٠٧ يُنْظَر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، /٤٢٢.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

١٠٨ رَاجِع في ذلك: البدراوي زهران، عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني المفتن في العربية ونحوها، /٢٣١-٢٣٢.

١٠٩ راجع في ذلك: ابن جِنّي، الخصائص، ١٠٢/٣.

١١٠ يُنْظَر: عبد القادر المهيري، نظرات في التراث اللغوي، /٢٧.

١١١ الزجاجي، الإيضاح في علل النَّحْو، /٤٩.

١١٢ المصدر السابق، /٤٩.

١١٣ ابن يعيش، شرح المُفَصَّل، ٤٤٧/٤.

١١٤ انظر: المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، / ٢١.

١١٥ يُنْظَر: عبد القادر الفاسي الفهري، عن الماضي والاكتمال والتدرج أو لماذا ليست العربية لغة جهيَّة، ضمن البِنَى الزَّمنية وأشكالها، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب وجمعية اللسانيات بالمغرب، مايو ٢٠٠٠م، /١٣-٣١.

١١٦ الزمن مقولة إحالية أو إشارية تربط زمن الحدث بزمن التَّلَفُّظ. أَمَّا الجِهة فهي مقولة غير إشارية، بل تحدد الطرق المختلفة لتقديم التكوين الداخليّ للحدث. راجع في ذلك: سعاد الصّغير، الأنماط الجهيّة في صورة "فَعَلَ"، ضمن البِنَى الزَّمنية وأشكالها، /١١٧-١٣٧. وانظر أَيْضًا: حليمة القبابي، بعض الخصائص الجهيّة للأفعال النَّاقِصَة وأفعال الشُّرُوع، ضمن البِنَى الزَّمنية وأشكالها، /١٦١-١٩٠.

١١٧ يُنْظَر: عبد المجيد جحفة، الزَّمن والجهة وتسويغ ظروف الزَّمن، ضمن البِنَى الزَّمنية وأشكالها، /٢٠٥-٢٣٣.

١١٨ المرجع السَّابِق، /٢٢٣-٢٢٨.

١١٩ يُنْظَر: العربي بيلوش، النَّفْي وبِنْيَة الفِعْل الزَّمنية، ضمن البِنَى الزَّمنية وأشكالها، /٢٣٥-٢٣٩.

١٢٠ يُنْظَر: محمد الرحالي، المقولات الوظيفية وقيود التَّصْميم الأمثل، ضمن البِنَى الزَّمنية وأشكالها، /٣٣-٧٩.

١٢١ راجع في ذلك: حليمة القبابي، بعض الخصائص الجهيّة للأفعال النَّاقِصَة وأفعال الشُّرُوع، ضمن البِنَى الزَّمنية وأشكالها، /١٨٤-١٨٥. وانظر أَيْضًا: سعاد الصّغير، الأنماط الجهيّة في صورة "فَعَلَ"، ضمن البِنَى الزَّمنية وأشكالها، /١٣٦-١٣٣.

١٢٢ يُرَاجَع في ذلك: هادي عطية مطر الهلاليّ، نظرية الحروف العاملة ومبناها وطبيعة استعمالها القرآني بلاغيًّا، /١٣١.

١٢٣ يُنْظَر: مصطفى النحاس، دراسات في الأدوات النَّحويّة، /٤٤.

١٢٤ حسن عباس، خصائص الحُرُوف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكُتَّاب العرب، دمشق، ١٩٩٨م، /١٠-١١.

١٢٥ يُنْظَر: مصطفى النَّحَّاس، دراسات في الأدوات النَّحويَّة، /١٣.

١٢٦ المرجع السَّابِق، /١٣.

١٢٧ انظر: الزَّمخشريّ، المُفَصَّل في صنعة الإعراب، /٣٧٩. وانظر أَيْضًا: ابن يعيش، شرح المُفَصَّل، ٤٤٧/٤.

١٢٨ ʾIbn YacīŠ. ŠarÎ ʾal-MufaÒÒal. vol. ٨. p. ٣.

١٢٩ ʾaz-ZaÊÊāÊī. ʾal-ʾIĪĀāÎ. p. ٤١.

١٣٠ Cf. Bernard Pottier. Op. cit.. p. ٤٢.

١٣١ On désigne par polynomie la situation dans laquelle se trouve une langue dont l'unité est abstraite et résulte d'un mouvement dialectique et non de la simple ossification d'une norme unique. Voir Jean Dubois et autres. Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage. p. ٣٦٩. Un polymorphe : qui peut se présenter sous des formes différentes. Voir Dictionnaire Le Robert. p. ١١١٨. Voir aussi : Jean Dubois et autres. Dictionnaire étymologique et historique du français. p. ٥٩٨.

١٣٢ Voir Bernard Pottier. Op. cit.. p. ٤٢.

١٣٣ Cf. André Roman. « Les chimères de la traduction » in Revue des lettres et de traduction. p. ٢٧.

١٣٤ SībāwayhiÌ ʾal-Kitāb. vol. ١. p. ١.

١٣٥ Voir André Roman. (١٩٨٠). « De la langue arabe comme un système de systèmes vers un modèle général de la formation

des langues sémitiques et de leur évolution ». in Travaux de l'institut d'études phonétiques d'Aix-en-Provence. VII. pp. ١١٧-١٠٣.

- (١٩٨٣). Étude de la Phonologie et de la Morphologie de la Koiné Arabe. Université de Provence. Aix-en-Provence.
- (١٩٩٠). Grammaire de l'arabe. Presses Universitaires de France. collection « Que sais-je ? ».
- (٢٠٠٠). « Les chimères de la traduction ». in Revue des Lettres et de Traduction. n° ٦. Kaslik. Liban. pp. ٥٠-٢٧.
- (٢٠٠١). Systématique de la langue arabe. Université Saint-esprit de Kaslik. Kaslik – Liban.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2